السنة (الثالثة والعشرون) . العدد (٢٤٩) . جمادى الآخرة ١٤٤٦ . كانون الأول ٢٠٢٤

النجف الأشرف

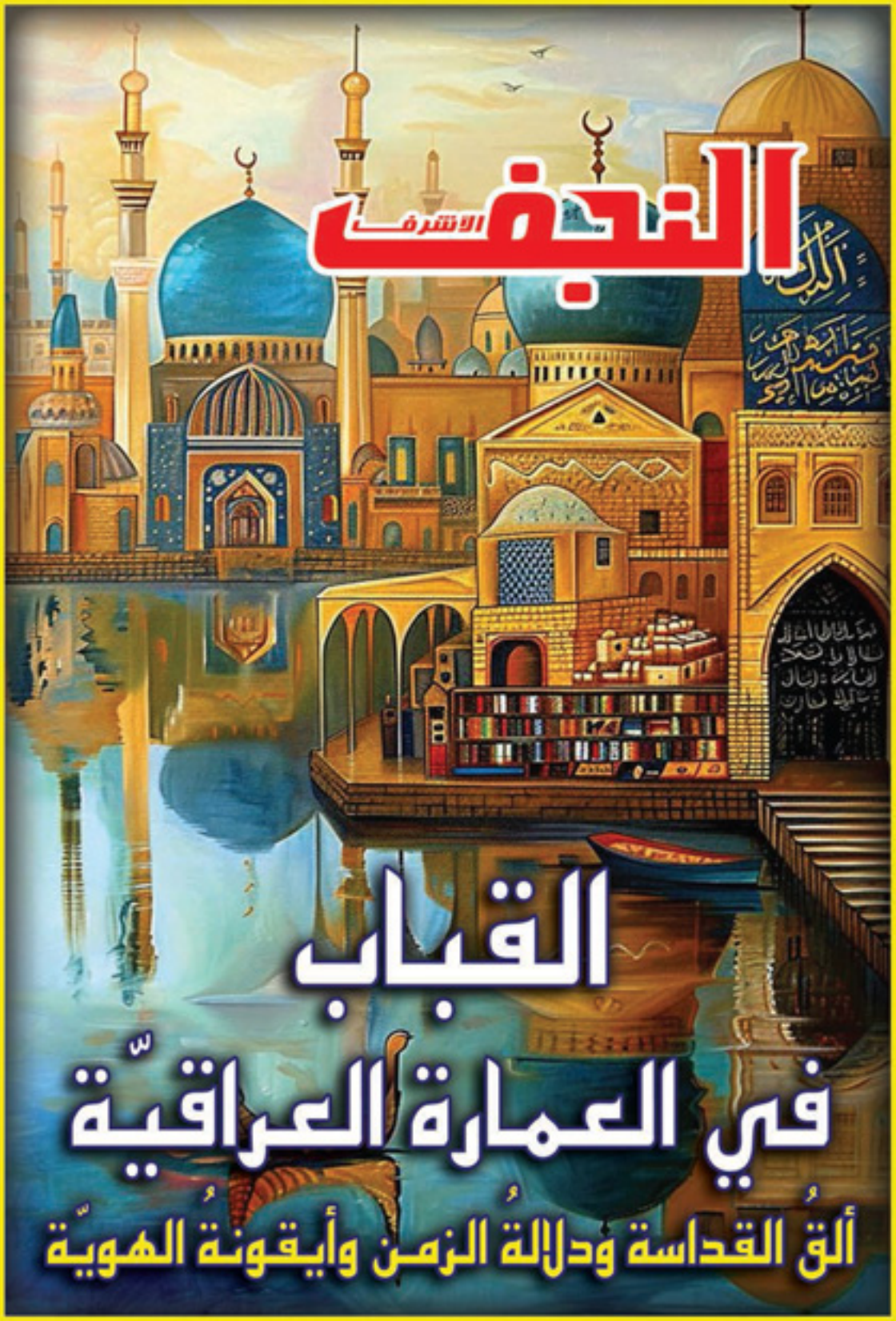

القباب في العمارة العراقيّة

ألقُ القداسة ودلالةُ الزمن وأيقونةُ الهويّة

23th Year Issue No: 249 - 2025

شركة الكفيل للاستثمارات العامة

Al Kafeel
Energy Solutions

المبيعات: 07746611071

الكادر الهندسي: 07746611070

الموقع الالكتروني:

https://alkafeelinv.com/new

الطاقة الشمسية
حل وحيد لمشاكل عديدة

باشرت ملاكات شركة الكفيل للاستثمارات العامة في العتبة العباسية، بنقل تجربتها في استخدام الطاقة الشمسية إلى مشروع العوالي الزراعي في محافظة كربلاء المقدسة. وتعد "منظومات الطاقة الشمسية من أهم مصادر الطاقة الصديقة للبيئة، لكونها خالية من الانبعاثات"، مشيراً إلى أن "المواد الخاصة بالمنظومات يتم تجهيزها من مناشئ عالمية رصينة تطابق المواصفات المطلوبة، يتم فحصها قبل تركيبها فضلاً عن المتابعة المستمرة للمنظومات بعد التركيب من قبل ملاكات متخصصة

للطلب والاستفسار:

مراسلة الصفحة أو الاتصال على

الكادر الهندسي: 07746611070

المبيعات: 07746611071

النجف الأشرف

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

مجلة النخبة الثقافية العراقية

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

العدد (٢٤٩) شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ

٦ خطاطون

خطاطو النجف الأشرف - حيدر الجد

١٣ تحقيقات

القباب في العمارة العراقية - رحيم رزاق الجبوري

٤٢ مقالات

مناطات التقييم - علي سعدون

٤٤ من الشرق

فقيه العراق - حسن الجوادي

٤٤ حديث الصورة

المآذن الاسلامية - تحسين عمارة

٥٤ طب

الغدد الصم - مسلم عقيل القراغولي

٧٧ آلة الزمن

من تاريخ الدولة القاجارية - باسم الساعدي

٨٢ واحة الدين

مفاهيم قرآنية - علي الغزي

رئيس مجلس الإدارة: السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير: ليث الموسوي مدير التحرير: غيث شُبّر

الإخراج الفني: لبنان - بيروت - مقداد غرافيك - سوسن مقداد

شروط النشر في المجلة أن لا تكون المقالة منشورة سابقًا، وأن تكون بين ٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ كلمة، وترسل للعناوين أدناه، مع السيرة الذاتية للكاتب. المجلة غير ملزمة ببيان سبب رفض المقال.

Website: www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org
E.mail: najafmag@gmail.com
P.O.Box: 365
مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد النجف الأشرف
نهاية شارع الرسول(ص)

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+964 780 779 0073

مجلة النجف الأشرف

إنما السعادة في الجمال

ربما يشاع أن ما يتحكم في سلوكنا كبشر دافعين: تجنب المكاره والمنغصات، و تتبع المغانم والمصالح، ولا أقصد الدنيوية منها فحسب، بل ما يعم الآخرة، والسعي الحثيث إلى توفر هذين العاملين، ولعله مذهب قريب من البرغماتية مع توسعته لما بعد الدنيا. وقد يظن البعض أن هذه النظرة صائبة وسلوكنا لا يعدو إلا عبدا لهما.

إلا أن هناك فطرة مركوزة في النفس، وهي حب الجمال وكره القباحة، وإن لم توفر لنا مصلحة أو مغنما، فرؤية الوردة الجميلة، والعشب الأخضر، والسماء الملونة، والأنهار العذبة، تجعل البشر يشعرون بالسعادة مع أن ليس في ذلك من مكسب، ورؤية الأكدار والرين والأوساخ تجعلك تنفر حتى وإن لم تكن مغرما لك.

وكما العين تتحسس الجمال وتسلك بك إليه، وتنفر من القباحة وتجعلك تشيح عنه، كذا الأذن، وغيرها من حواس البدن المادية، إلا أن تحسس الجمال مع النفوس مناطه أمر مختلف، فالنفوس ترتاح لذوي الاخلاق الطيبة وإن لم تنل منهم شيئا، بل ربما حتى إن خسرتَ تظل النفس تواقة مرتاحة لذلك الجمال الحقيقي الذي يخيم بنوره على سلوك الناس.

فالسلوك يتحكم به الجمال لا المغانم والمغارم، وأكمل جمال جمال السلوك، فحينها للقائل أن يقول: أقوى متحكم في سلوك الفرد هو جمال سلوك الآخرين، وهو القوة التي تسيطر وتنشر السعادة في النفوس.. فلنكن أجمل بحسن الخُلق، ولنتحل بكل مكرمة أخلاق، فمنه نعرف فحوى الرسالة من الله لبني آدم، وإنه ما بعثه إلا ليتمم مكارم الأخلاق.

غيث شبر

خطاطو النجف الأشرف

السيد محمد مهدي القاضي انموذجاً

بقلم: حيدر الجد

في مدينة كالنجف الأشرف مدينة العلم والعلماء لابد ان تبرز هيبة الخط العربي الأصيل بكل أنواعه فالخط العربي كما قال أمير المؤمنين(ع): (الخط الجميل يزيد الحق وضوحا)، وذلك في الدلالة على أهمية جمال الخط وصحته وحسن رسمه وبيانه، فإن كان الحق معنى جليلا فإنه لا يتحقق مكتوبا إلا بأسلوب جلي وقالب بهي يؤدي محتواه ويحيط بمراده.

فالخط كما عبر عنه القلقشندي في كتاب صبح الأعشى: (ما تعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها وكيفية تركيبها خطًا)، وهو بحسب رأي ياقوت بن عبد الله الموصلي الذي قال: (إن جوّدت قلمك جوّدت خطك، وإن أهملت قلمك أهملت خطك)، وأما ابن خلدون فقد عّرف الخط في مقدمته مبينا أنه أحد أدوات تحقيق دلالات اللغة فقال: (صناعة شريفة يتميز بها الإنسان عن غيره، وبها تتأدى الأغراض، لأنها المرتبة الثانية من الدلالة اللغوية).

وأنت تمشي في أزقة النجف القديمة أو حتى في أحيائها القديمة لابد أن

جامعة النجف

تطالعك آيات قرآنية أو أبيات شعرية خُطّت على بعض الواجهات، ففي المراقد والمساجد والمدارس الدينية وحتى في بعض واجهات البيوت القديمة تجد جمالية الخط العربي حاضرة تشدك إليها برسم الحروف ورشاقتها ومهارة الخطاط الذي استطاع أن يبدع لحد بعيد في وقت لم تتوفر فيه إلا عدة بسيطة قوامها الحبر والقصب والمبراة وغالباً ما تكون السكينة.

وبناءً على ما تقدم نشط هواة الخط حتى صاروا مبدعين وأساتذة في مجال عملهم ومنهم: السيد محمد مهدي القاضي الذي رحل عن النجف وبقيت آثاره شاهدة على ما خطه من تشكيلات متنوعة في بعض المساجد والمدارس.

والسيد محمد مهدي القاضي هو ابن السيد علي الطباطبائي القاضي، السيد الجليل صاحب الولاء المطلق لآل البيت، والورع الذي تنكشف لديه بعض الغوامض نتيجة لصدق نيته وسلامة نفسه وترويضها على الطاعات والعبادات والابتعاد عن أغراض الدنيا وزخارفها.

ولد السيد محمد مهدي سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م في بيت العلم والتقوى قريباً من حرم جده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كبر وترعرع في هذا الجناب الممرع رغم الفقر و مصاعب الحياة لكنه عاش أبياً زاهداً صابراً وقد تعددت مواهبه فبعضها حسية لا يلمسها إلا ذوو الفضل ممن بلغوا درجة رفيعة في جهاد النفس وترويضها، وبعضها الآخر مواهب ملموسة وأبرزها كما قلنا الخط العربي ولازالت مدوناته الرائعة شواهداً حية على نتاجه الفني الثر.

اما نسبه فهو السيد محمد مهدي ابن السيد علي ابن السيد حسين ابن السيد أحمد ابن السيد رحيم ابن السيد محمد تقي...، ويرتقي نسبه إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (عليه السلام) بـ (٢٣) واسطة.

وبنو طباطبا هم كوفيون بالأصل إلا ان جدهم أحمد بن محمد الأصغر (المعروف بابن الخزعلية) ابن أبي عبد الله أحمد بن ابراهيم طباطبا هاجر نحو إصفهان وسكنها وبقيت ذريته فيها

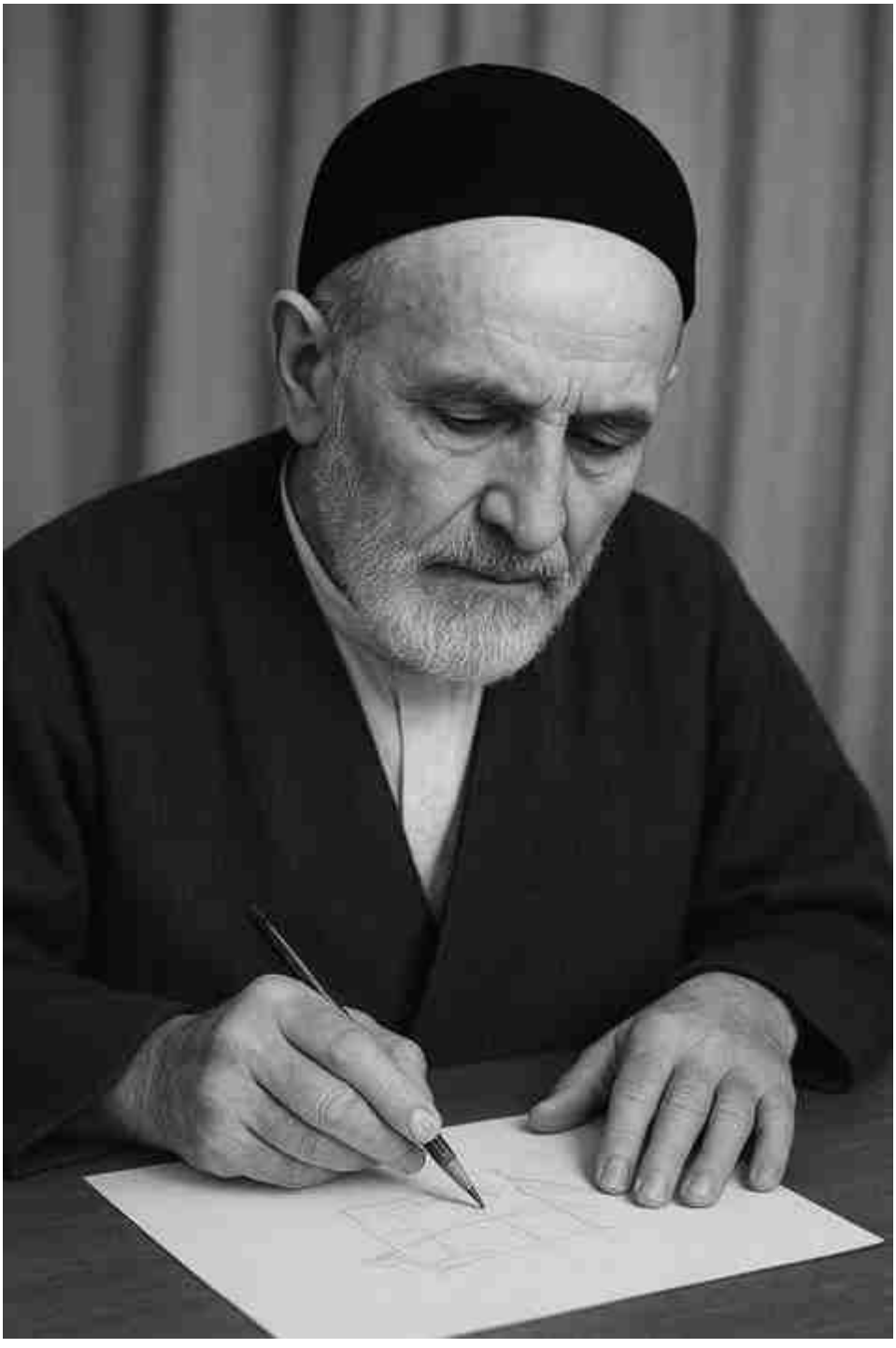

ومنهم من هاجر إلى مدن عدة في إيران مثل يزد وبروجرد، أما أجداد السيد مهدي فقد هاجروا إلى تبريز شمال إيران وحمل بعض أجداده المتأخرين لقب شيخ الإسلام فيها.

تأثر السيد مهدي بوالده كثيراً فقد نشأ عليه وهو يرى في والده ذاك السيد الوقور الزاهد في الدنيا وحطامها، المقبل على الآخرة بجميع جوارحه، ولم يمنعه شظف العيش و ضغط الحياة من التوجه نحو العبادة ورياضة النفس، وقد سار في الطريق الذي ارتضاه له والده حيث تدرج في طلب العلم وحضر المقدمات والسطوح في النجف الأشرف، حيث حضر على الشيخ علي القسام وفي ذات الوقت اهتم بعلم الحروف والأوفاق فقد ولد عنده هذا الاهتمام رغبة في تعلم الخط، فمارسه هاوياً ثم تدرج شيئاً فشيئًا حتى أصبح من الخطاطين المعروفين وكان محله أو بالاحرى مشغل الخط في بداية شارع زين العابدين من جهة الميدان، وقد حدثني الخطاط الكبير جاسم النجفي أنه لطالما استفاد من الحضور على السيد مهدي وأنه كان شغوفاً بمهارته وإبداعه في الخط لذا فهوه يعده استاذه الاول.

ترك السيد مهدي عديدًا من آثاره في النجف الأشرف قبل أن يهاجر إلى إيران، ويتخذ من قم المقدسة مسكناً له، إثر مضايقات النظام الحاكم في العراق حينها، ولما نزل قم المقدسة لم يعتد بالأثاث والفرش كثيراً فقد كان منزله متواضعاً بسيطاً وقد سار على سجية أبيه في حياته، ورغم أنه كان مؤهلا لكي يلقي على طلبة العلوم الدينية في قم دروساً وإبحاثاً إلا أنه آثر العزلة ولم يلتق إلا ببعض الخلصاء والاخلاء الذين توافق مزاجه مع مزاجهم وانسجم توجهه مع تواجهاتهم.

ومن آثاره النجفية :الخطوط الموجودة في جامعة النجف الدينية (جامعة كلانتر)، والخطوط الموجودة في مسجد الهندي، وتلك الموجودة في مسجد الطوسي، وكذلك في مدرسة القوام الدينية.

عانى المرحوم السيد مهدي القاضي من قصور في القلب و مشاكل صحية في الدورة الدموية بسبب الضغوط السياسية والاقتصادية التي تعرض لها في العراق وأثر تهجيره إلى إيران، وأخيراً في شهر صفر سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م ترك هذا الطود العالم الفاني، ليحل ضيفاً في جوار الله، حيث دفن في إحدى غرف باحة مرقد حضرة السيدة فاطمة المعصومة(ع) في الجهة الشرقية، بناء على توجيه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

«القبابُ في العمارة العراقيّة»
ألقُ القداسة ودلالةُ الزمن
وأيقونةُ الهويّة

بقلم: رحيم رزاق الجبوري

تعد القبة من أقدم وأغنى الأشكال المعمارية التي عرفها الإنسان، وقد ارتبطت في الوعي الجمعي للشعوب برمزية السماء والخلود والقداسة. في العراق، حيث نشأت أولى الحضارات البشرية، لعبت القباب أدوارا متعددة تجاوزت الشكل البنائي، لتصبح رمزا روحانيًا، ودلالة ثقافية، وتجليا فنيًا عبر العصور. إذ شهدت القباب في العراق تطورًا فريدًا تميّز بثلاثة اتجاهات رئيسية: (القباب الإسلامية التقليدية التي زينت المراقد والجوامع بمهابة وقدسية). و(القباب المخروطية التي شكّلت علامة بارزة في العمارة الإسلامية العراقية). و(القباب الفلكية (البلانتاريوم) التي جسدت علاقة الإنسان بالكون والمعرفة العلمية). إلى جانب ذلك، برز توظيف القبة في الفن التشكيلي والخط العربي والنحت. حيث تحولت إلى رمز بصري محمّل بالدلالات الصوفية والرمزية والوطنية. فالقبة في العراق ليست مجرّد عنصر معماري بل شاهد حيّ على التاريخ والروح والهوية. من أضرحة آل البيت الأطهار المقدسة، ومقامات الأولياء، إلى قاعات البلانتاريوم، ومن التجليات التشكيلية إلى الرموز الحروفية، ظلت القبة تختزن المعنى وتمنح الفضاء هيبة وسموا وبهاء ورفعة!

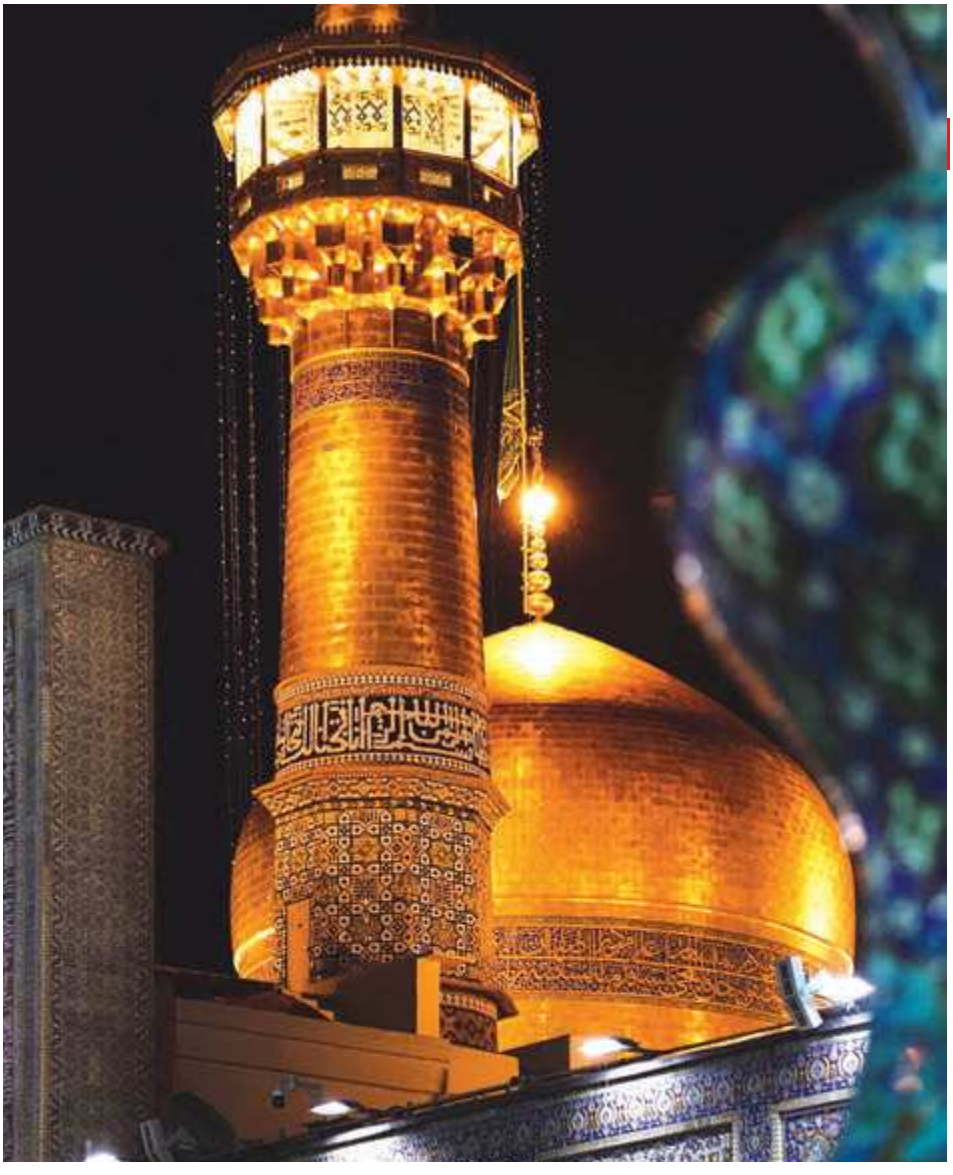

القباب في العمارة الإسلامية العراقية

١- القبة كرمز ديني وثقافي

منذ العصور الإسلامية الأولى، شكّلت القبة عنصرا أساسيا في تصميم المساجد والمراقد الدينية. لم تكن مجرد حل هندسي لتسقيف الفضاءات الواسعة، بل جسّدت المقدس، وارتبطت بالمكانة الروحية للضريح أو المسجد. وقد أشار الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في وصفه لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة...» ما يدل على أن القباب كانت قائمة فوق أضرحة الأئمة منذ القرن الثاني الهجري، وتحمل دلالات رمزية وروحية راسخة في الوعي الإسلامي.

٢- الوظيفة المعمارية والجمالية

تتميز القبة بقدرتها على تحقيق توازن بين الجمال والوظيفة، فهي تمنح الفضاء الداخلي شعورا بالسمو والاتساع. وتسهّل الإنارة والتهوية عبر نوافذها العلوية. وتعبّر عن القداسة والهيبة من خلال ارتفاعها وتمركزها.

٣- القبة في الموروث اللغوي والمعماري

لغويا: «قَبَّ» الشيء أي قَوَّسه، والقبة ما يقام على شكل نصف كرة. ومعماريا: هيكل نصف كروي مجوف، يقام غالبا فوق قاعدة مربعة باستخدام القوس والدوران، ومبني غالبا من الآجر أو الحجر.

٤- الجذور التاريخية للقبة في العراق

تاريخ القباب في العراق يعود إلى ما قبل الإسلام: إذ وجدت آثار في شمال العراق (حضارة حلف) تعرف باسم الثولو (Tholos)، وهي مساكن ذات قبب طينية. وفي العصر الإسلامي، ظهرت قباب: دار الإمارة في الكوفة، وكنيسة القصير في كربلاء، وقبة الصخرة في القدس.

القباب المخروطية في العراق

١- الخصوصية المعمارية العراقية

يعد العراق موطنًا أصيلا للقباب المخروطية، والتي تميّزت بطابع فني فريد

انتقل لاحقا إلى إيران وسوريا. وتصنف هذه القباب إلى نوعين: (قباب مخروطية مقرنصة): مزخرفة بأشكال هندسية دقيقة. و(قباب مخروطية مضلعة): ذات زوايا واضحة ومحددة.

٢- التوزيع الجغرافي

يبلغ عدد القباب المخروطية في العراق أكثر من ٢٢ قبة موزعة بين نينوى، كركوك، الأنبار، بغداد، ديالى، بابل، ميسان، البصرة. ومن أبرزها: قبة زمرد خاتون – بغداد (الكرخ). وقبة الإمام عبد الرحمن – الموصل، وقبة ضريح الشيخ عدي – سنجار، وقبة ذي الكفل – محافظة بابل، وقبة الحسن البصري – البصرة، وغيرها.

القباب الفلكية في العراق

١- التعريف والوظيفة

القبة الفلكية أو (البلانتاريوم) هي مسرح ذو سقف قبابي يعرض مشاهد فلكية باستخدام أجهزة متقدمة تحاكي حركة النجوم والكواكب. تستخدم لأغراض تعليمية وتدريبية وترفيهية، خاصة في الملاحة والفضاء.

٢- أهم القباب الفلكية العراقية

أ. القبة الفلكية في الزوراء – بغداد: وأسست عام ١٩٧٩ وكانت من أوائل القباب الفلكية في الشرق الأوسط. لكنها أُهملت بعد حرب الخليج، وتمت محاولة إحيائها في عام ٢٠٢٢ بدعم من وزارة الشباب والرياضة.

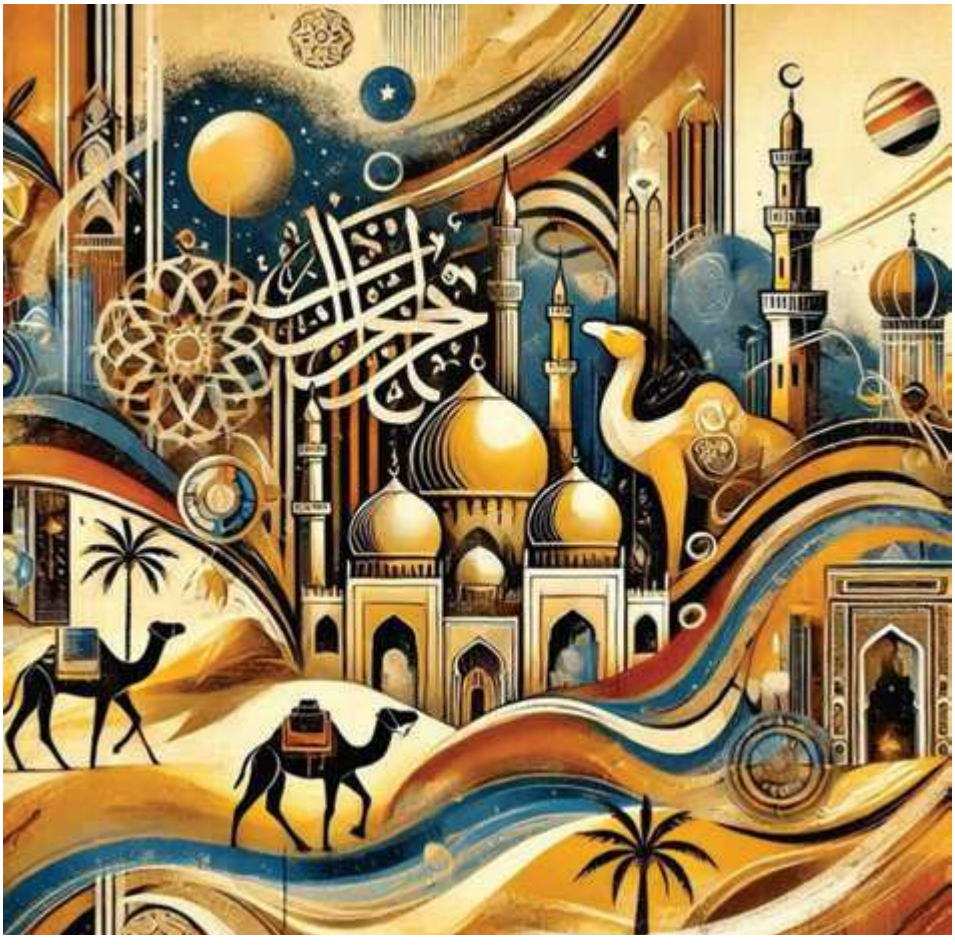

ب. قبة جامعة البصرة: أُنشئت بإشراف الفلكي ميخائيل عبد الأحد. وبدأت العمل في ١٩٧٩ لكنها تعطلت بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة النهب والإهمال.

ج. قبة أكاديمية الخليج العربي للدراسات البحرية – البصرة: وأُنشئت عام ٢٠١٥ وتخدم أغراض التعليم الفلكي والملاحي، مزودة بأجهزة GPS، رادار، وأجهزة محاكاة بحرية متقدمة.

القبة في الفن العراقي

١- الفن التشكيلي

شكلت القبة عنصرًا روحيا وبصريا في لوحات العديد من الفنانين العراقيين، خصوصا في السياقات الصوفية والرمزية. إذ استخدم الفنانون التشكيليون العراقيون القبة بوصفها رمزا غنيا بالدلالات الروحية،

والتراثية، والرمزية، وتنوع توظيفها بين الأساليب التجريدية، والتعبيرية، والمفاهيمية. من خلال تجارب الفنان شاكر حسن آل سعيد، وضياء العزاوي، وكاظم حيدر، برزت القبة كعنصر صوفي، وتاريخي، وشعبي، بينما وظفها فنانون كرافع الناصري ونوري الراوي لتأكيد الهوية العراقية والبغدادية تحديدا، ضمن سياقات معمارية وثقافية متعددة، أما الفنان

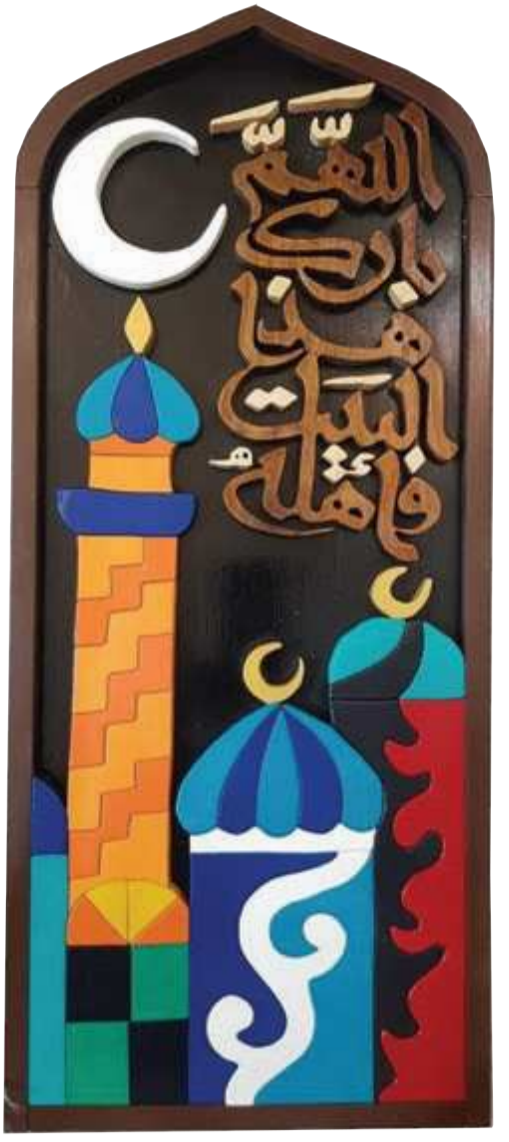

علاء بشير فقد استخدمها كرمز للروحانية والهوية الشرقية.

٢- الخط العربي

الخطاطون العراقيون دمجوا القبة ضمن التكوين الحروفي المعاصر، خاصة في خطوط الثلث والكوفي. ومنهم: الخطاط وسام شوكت: وظف بنية القبة داخل تكوينات حروفية، والخطاط محمد سعيد الصكار: دمج التراث المعماري بالحرف، والخطاط

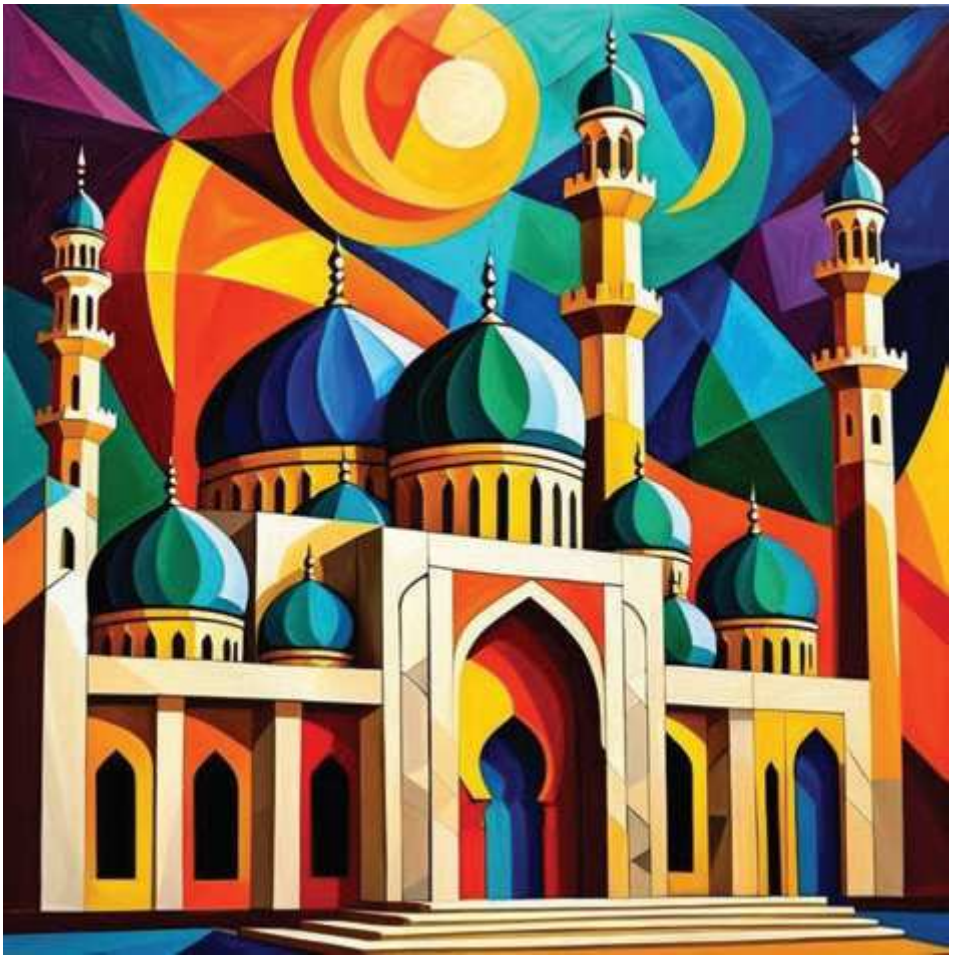

حسن المسعود: استخدمها في سياقات رمزية.

٣- النحت

تحولت القبة إلى كتلة تأملية ونحتية، بعيدة عن وظيفتها الأصلية، ومن أبرز النحاتين، الذين وظفوها في أعمالهم: محمد غني حكمت: استخدم القبة كرمز وطني وروحي، ونزار حيدر: وظّف

القبة بشكل زخرفي وتجريدي في أعماله الرمزية، وإسماعيل فتاح الترك: فقد وظّف القوس والقبة ضمن منحوتاته المعمارية في بعض الأعمال العامة، وغيرهم.

رفعة الچادرچي.. رائد العمارة العراقية الحديثة

يعد رفعة الچادرچي (١٩٢٦–٢٠٢٠) من أبرز المعماريين العراقيين في القرن العشرين، وقد تميز بفكره الحداثي الذي سعى من خلاله إلى دمج العمارة المعاصرة مع الجذور الثقافية والتراثية العراقية. لم يكن هدفه تكرار الأشكال الإسلامية التقليدية، بل كان

يؤمن بضرورة إعادة تفسيرها بشكل يتماشى مع متطلبات العصر. من بين هذه العناصر، كانت القبة من الرموز المعمارية التي تعامل معها برؤية فلسفية خاصة؛ فهو لم يكثر من استخدامها في تصاميمه، لكنه عندما يوظفها، يقدمها بشكل مبسّط ومجرد يعكس رمزيتها الروحية، لا شكلها الزخرفي التقليدي. وكان يرى أن القبة في العمارة الإسلامية ليست مجرد غطاء لمساحة، بل هي رمز للسمو والارتباط بالسماء، ولهذا تعامل معها كفكرة أكثر من كونها عنصرا بصريا. أثر هذا التوجه في أعمال

رفعة الجادرجي
معماري ومفكر عراقي لقب بـ(أبو العمارة الحديثة في العراق)، جمع بين الحداثة والتراث في تصاميمه. من أشهر أعماله: نصب الجندي المجهول في بغداد.

معاصرين له، وساهم في تكوين خطاب معماري عراقي حديث يربط بين الحداثة والهوية المحلية. وبهذا يمكن القول إن تجربة رفعة الجادرجي مع القباب كانت تجربة فكرية وجمالية، سعت للحفاظ على العمق الرمزي للتراث ضمن إطار معماري معاصر.

القباب.. هوية دينية وفنية

تعد القباب الإسلامية أحد أبرز الرموز المعمارية التي تجسد الهوية الدينية والفنية في عمارة العالم الإسلامي، وقد شهدت تطورًا لافتًا عبر العصور، لا سيما في العراق الذي مثّل مهدًا للعديد من الحضارات التي ساهمت في بناء هذا الإرث العمراني الغني. ورغم ما تحمله القباب من دلالات روحية وجمالية، إلا أنها تواجه اليوم تحديات متعددة تتعلق بالترميم، والحفاظ على الهوية، والتطورات المعمارية الحديثة. ولكل ما ذكر نستعرض آراء نخبة من الأكاديميين، والفنانين، والمهندسين، والخبراء الآثاريين حول البعد الرمزي والفني والتقني للقباب الإسلامية، وكيف يمكن إعادة توظيفها في عمارة معاصرة لا تفقد اتصالها بالجذور.

رؤية أنثروبولوجية

أشار الدكتور حاتم ثويني (دكتوراه في علم الأنثروبولوجيا) إلى أن «العمارة الإسلامية في بلاد الرافدين تتميز بكونها امتدادا حضاريا عريقا للحضارات السومرية والبابلية، ولكن بطابع إسلامي خاص، يحرّم فيه تصوير الكائنات الحيّة، ما قاد إلى تطوير لغة بصرية بديلة تتمثل في الزخارف الهندسية والنباتية، والخط العربي. وأوضح ثويني لـ(مجلة النجف الأشرف) أن «أبرز عناصر هذه العمارة هي القبة والقوس، اللذان يعتبران امتدادًا للعمارة السومرية، لكن بلمسة روحية وهوية إسلامية خالصة». وأضاف أن «العمارة الإسلامية العراقية لم تكن منفصلة عن التأثيرات البيزنطية والساسانية التي جاورتها في فترات زمنية متداخلة، بل امتزجت بها بطريقة تلائم الهوية الإسلامية الفريدة، وهو ما يبدو واضحا في المعالم المعمارية التي ظهرت في العصر الأموي، مثل العقود والجملونات الدمشقية، وفي العصر العباسي، حيث تطوّرت القباب والعقود المدببة، لتصبح معالم راسخة في فنون البناء الإسلامي». وبيّن الدكتور ثويني أن العمارة الإسلامية لا يمكن فصلها عن الواقع الثقافي والجغرافي والديني، موضحا أن «المباني الإسلامية تحمل بعدا أنثروبولوجيا عميقا، يتجلى في كتابة آيات القرآن الكريم، والجمل المرتبطة بذكر الله، في فضاءات المساجد والقصور والمنازل والأسواق. هذه العناصر –بحسب قوله– ليست مجرد زخارف، بل تمثل إفرازا مباشرا للعقيدة الإسلامية التي تُجسّد في المعمار رؤية روحية ومجتمعية شاملة». وأكمل، قائلا: ان «القبة تحديدا، تحمل رمزية مزدوجة؛ فهي علامة بصرية ترشد المسافرين من بعيد، ودلالة عمرانية على وجود مدينة، أو مسجد، أو مزار مقدس. كما أنها تستخدم بوصفها عنصرا وظيفيا يوفر التهوية، والإضاءة الطبيعية، ويضخّم صوت الخطيب في المساجد، ما يمنحها حضورا مركزيا في أي تصميم». وتابع ثويني، بالقول: ان «القبة ليست اختراعا إسلاميا خالصا، بل هي امتداد لفكرة معمارية قديمة تعود إلى الحضارات الرافدينية، حيث تظهر القباب والأقواس في آثار سومرية وبابلية، وأبرزها قوس معبد (دب لال ماخ) الذي يعد من أوائل المحاكم في التاريخ». مشيرًا إلى أن «التراث الشعبي العراقي، خاصة في أدب ألف ليلة وليلة، يحتفظ بتصوّرات رمزية عن القباب والأقواس،

ما يدل على عمقها في الوعي الجمعي».
وأوضح ثويني أن «القباب العراقية تتميز عن نظيراتها في إيران وتركيا. فهي تعكس الطابع الرافديني البسيط والخالي من الزخرفة المفرطة، مستلهمةً من السومريين والأكديين والآشوريين. أما القباب الإيرانية، فتتسم بالتفاصيل المعقدة والزخارف الدقيقة على الطراز الساساني، في حين أن القباب العثمانية التركية جاءت مستلهمة من العمارة البيزنطية، بكرويتها وضخامتها اللافتة».
وفي ما يخص مواد البناء التقليدية، أكد الدكتور أن «الآجر (الطابوق المشوي) والجص، شكّلا المادة الأساس في بناء القباب الإسلامية في العراق». أما عن تقنيات البناء، فأوضح أنها «بقيت تقليدية لقرون طويلة، لكن مع ظهور الحداثة، بدأ استخدام الهياكل الحديدية كدعائم داخلية تسبق تغليف القبة بالطابوق أو المواد الأخرى، مما أتاح مرونة أكبر في البناء مع الحفاظ على الشكل التقليدي». وحول تحديات الترميم، لفت إلى أن «القباب الأثرية تواجه تحديات بيئية وهندسية معقدة، أبرزها تآكل المواد بفعل الزمن والعوامل المناخية، وصعوبة التعامل معها دون المساس بأصالتها، خاصة في ظل غياب الحرفيين المهرة القادرين على التعامل مع هذا النوع من العمارة». ونوّه إلى أن «القبة لا تزال تدمج في التصاميم المعمارية الحديثة، ولكن غالبا بوظيفة رمزية أو زخرفية، لا عملية، خاصة مع تطور تقنيات التهوية والإضاءة والصوت. ومع ذلك، ما زالت القبة تستخدم وظيفيا في المساجد والمراقد والمزارات الدينية، ما يدل على استمرارها كعنصر حي في المشهد العمراني». وفي ذات السياق، أوضح ثويني أن «من بين أجمل القباب الإسلامية في العراق، تبرز قبّتا العتبة الكاظمية المقدسة، لما تمتازان به من تناظر مزدوج فريد لا يشبه أي تصميم آخر في

د. حاتم ثويني
مختص في علوم الأنثروبولوجيا

البلاد، ولبعدهما الرمزي والديني الكبير في الوجدان الشعبي». أما عن مستقبل العمارة الإسلامية في العراق، فقد أكد الدكتور أنها «في تطور مستمر، خاصة في المشاريع الخاصة بالمراقد والمزارات الدينية»، مشددا على «أهمية الحفاظ على الطابع الإسلامي التقليدي لا بوصفه تراثا فقط، بل كهوية معمارية يجب تطويرها بعناية لتواكب العصر دون أن تفقد معناها الروحي والتاريخي». واختتم الدكتور حاتم ثويني حديثه بالتأكيد على أن «العمارة الإسلامية، وخاصة القباب، ليست مجرد أشكال هندسية، بل هي لغة رمزية تعبيرية تعكس القيم والروح والتاريخ». داعيا إلى «عدم التفريط بهذا الميراث أو استبداله بأشكال هجينة لا تمثل هوية العراق، بل إلى تطويره بطريقة واعية تحفظ جوهره وتمنحه أفقا معاصرا».

القبة ثيمة فلسفية وبصرية

استهل النحات والأكاديمي د.حسين الكرعاوي حديثه لـ(مجلة النجف الأشرف) بالإشارة إلى التداخل القائم بين الهندسة المعمارية والفن بشكل عام، والنحت بشكل خاص، موضحا أن «هذين العنصرين يتقاطعان بشكل مباشر في بعض الأعمال، بينما يتقاربان في أخرى من حيث الفلسفة أو التقنية أو الرؤية». وأشار إلى أن «عناصر العمارة الإسلامية مثل القبة والزخارف الهندسية أثّرت في التكوين البصري للفن»، معتبرا أن «هذه العناصر لا تقتصر على البعد التقني للنحت فقط، بل تمثل إضافة بصرية وفكرية، وأصبحت عنصرا إبداعيا يسهم في

د. حسين الكرعاوي

نحات وأكاديمي

إثراء الرؤية الفنية». الكرعاوي، أوضح أن «القبة الإسلامية لم تعد مجرد عنصر إنشائي، بل أصبحت ثيمة تمثل مدنا، أو محافظات، أو ديانات، أو حتى بلدانا بأكملها». واستشهد بالقباب في تركيا التي تختلف في الطراز، والهندسة، والتكنيك، وحتى الألوان عن القباب الموجودة في العراق. مضيفا أن «القباب العراقية، رغم قربها من نظيراتها في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلا أنها تختلف من حيث الهندسة، والزخارف، والطلاءات، والتلوين، والفسيفساء»، مشددا على أن «هذه الاختلافات تمنح القبة بعدا فلسفيا وفنيا يعكس الرؤية الجمالية الخاصة بكل بيئة». وبيّن الكرعاوي، أن «النحات يستوحي كثيرا من الطرز الإسلامية، ومنها ما هو معروف ضمن اتجاهات الفن الإسلامي مثل (الكاشي الكربلائي)، الذي يوظَّف في بعض النصب باستخدام اللون الأزرق أو التركوازي لإضفاء لمسة فنية وجمالية، ترمز إلى التأكسد والتآكل الزمني، مما يخلق بعدا رمزيا قويا». وأكد الكرعاوي أن «النحت الحديث له دور مهم في تصحيح وصيانة العمارة الإسلامية»، مستشهدا بضريح الإمام الحسين(ع) الذي يشهد صيانة وهندسة معمارية دائمة، ترافقها أعمال نحتية حديثة تكمل المشهد برؤية معمارية عصرية». وشدد، على أن «الفن التشكيلي، ولا سيما النحت، هو عنصر أساسي في إبراز العمارة وصيانتها، حيث يعيد لها رونقها وهيبتها وصورتها الأصلية التي قد تكون تآكلت بفعل الزمن والعوامل البيئية». واختتم بالتأكيد على أن «النحت عنصرٌ مكملٌ للعمارة المعاصرة، ذو رؤية حديثة ترتكز على الجذور التاريخية».

إرث رافديني

من جانبه، أشار الخبير الآثاري عامر عبد الرزاق إلى أن معظم ما نراه اليوم من عناصر معمارية عظيمة في الحضارات الإسلامية هو في الأصل امتداد للحضارات العراقية القديمة كالسومرية، البابلية، الآشورية، والأكدية. وأكد عبد الرزاق في حديثه لـ(مجلة النجف الأشرف) على أن «العمارة والحضارة وتخطيط المدن هي علوم تراكمية، وأن عناصر مثل الأعمدة، والقباب، والمنارات تحمل تأثيرات رافدينية عريقة». وأوضح عبد الرزاق أن «فكرة القبة ظهرت في العراق القديم منذ الألف الثالث قبل الميلاد، حيث استخدمت القباب البدائية

في تسقيف البيوت باستخدام جذوع النخيل والأشجار، قبل أن يتم استبدالها بالطابوق، ليأخذ البناء شكل القبة تدريجيا». مبينا أن «القباب لم تقتصر على البيوت، بل امتدت إلى القصور والمقابر، وكانت تستخدم بأشكال جملونية أو مقببة، وهو ما يعكس الابتكار المعماري العراقي القديم، الذي لا يزال تأثيره واضحا حتى اليوم».

عامر عبد الرزاق

خبير آثاري

نقص الوعي المعماري

من ناحيته، أشار المهندس المعماري ئالان صباح شكري، إلى أن «ابتعاد العمارة العراقية عن هويتها يرتبط بعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية، لافتا إلى أن «السوق المعماري الحالي بات استهلاكيا في طبيعته، كما أن سيكولوجية الفرد والمجتمع أصبحت استهلاكية أيضا». وأوضح شكري لـ(مجلة النجف الأشرف) أن «عناصر العمارة المتوفرة في السوق تغذي هذا التوجه الاستهلاكي، وأنه في ظل غياب الوعي المجتمعي الذي يربط الفرد بهويته، أصبحت القباب غائبة عن المشهد المعماري المعاصر». مبينا أن «النظام التدريسي أسهم في خلق

ئالان صباح شكري

مهندس معماري

أجيال حافظة وغير فاهمة لهوية العمارة العراقية، وبخاصة ما يتعلق بالقباب البصلية الشكل»، مرجعا هذا القصور إلى تعاقب الأنظمة الديكتاتورية والإقطاعية التي أثّرت في وعي المجتمع واهتمامه بالتراث. شكري، أكد أنه «يفضل المحافظة على التراث بأسلوب عصري، إلا أنه واجه رفضا اجتماعيا، نظرا لأن المطلب الشعبي أصبح أقرب إلى التقليدية والاستهلاك». وشدد على أن «تغيير الذائقة العامة يتطلب وقتا وجهدا وتوعية إعلامية، حيث يتأثر المواطن بما تطرحه الميديا من نماذج معمارية»، موضحا أن «تغيير الواقع يتطلب استمرارية من المهندسين وتكرار النماذج الناجحة».

ترجمة روحية

بدورها، أشارت المهندسة المعمارية تمارة الشمري (المختصة في التخطيط والتصاميم المعمارية والإنشائية) إلى أن الطراز الإسلامي يتميز بالزخارف الهندسية المعقدة والخط العربي، موضحة أن التصميم المعماري الإسلامي المعاصر يمزج بين الأصالة والحداثة، وهو مصدر إلهام للكثير من المصممين. وأوضحت في حديثها لـ(مجلة النجف الأشرف)، أن «العمارة الإسلامية في العراق تطورت على مدى أكثر من ١٤ قرنا، متأثرة بعوامل الدين، والسياسة، والبيئة، والتقنيات، مما جعل العراق أحد أهم مراكز العمارة الإسلامية في العالم». وأضافت أن «العمارة الإسلامية تأثرت بعوامل ثقافية وجغرافية ودينية، حيث انعكس كل عامل في تشكيل هوية معمارية فريدة امتزجت فيها الوظيفة والجمالية والرمزية الدينية مع المرونة البيئية». وأكدت الشمري أن «القباب الضخمة في المساجد الكبرى كانت ترمز إلى قوة الدولة، وأصبحت أيقونة معمارية إسلامية عالمية»، مشيرة إلى أن «القبة ليست مجرد عنصر زخرفي، بل ترجمة روحية لفكرة السماء والاتقاء الروحي، وتوحي من الخارج بالتواضع». وعن نشأة فكرة القبة، أوضحت أنها «تطورت من العمارة السابقة لتأخذ بعدا رمزيا ووظيفيا»، مؤكدة أن «القبة ليست جزءا إجباريا من تصميم المسجد لكنها أصبحت علامة بصرية مميزة». الشمري، نوهت إلى أن «القباب الإسلامية تختلف حسب المناطق الجغرافية من حيث المواد، والذوق، والتقاليد المعمارية»، وبيّنت أن «القباب العراقية لها خصائص تميزها

عن مثيلاتها في إيران وتركيا، خاصة من حيث الفخامة والشكل والزخرفة والوظيفة والرمزية». ولفتت إلى أن «المواد التقليدية المستخدمة في القباب العراقية تشمل الطابوق، الجص، الذهب، التذهيب، المرايا، الزجاج، الخشب، والحجر، وهي تعكس البيئة والمناخ والإرث السومري والعباسي». وحول ترميم القباب الإسلامية الأثرية، شددت الشمري على أنها «من أصعب التحديات المعمارية، بسبب القيمة الدينية والتاريخية، ولأنها غالبا ما تكون مشيدة بمواد وتقنيات قديمة تتطلب رعاية خاصة». ولفتت إلى أن «التحديات تشمل الحفاظ على الأصالة، وضمان الاستدامة الإنشائية، والتعامل مع البيئة والواقع السياسي». وعن المشاريع الحديثة، أكدت الشمري «وجود مشاريع حديثة في العراق تستخدم القباب بطريقة تدمج بين التراث والحداثة، مثل استخدام الخرسانة المسلحة، المرايا، الزجاج، الموزاييك، والتذهيب». أما عن أجمل قبة إسلامية في العراق، فأشارت إلى أن قبة مرقد الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف هي الأجمل، لما تتميز به من تذهيب كامل بورق الذهب ولمعان مهيب، وهيبة روحية ومعمارية»، مؤكدة أنها «تمثل رمزية دينية عميقة وجمالية معمارية متناسقة». واختتمت حديثها بالتأكيد على أن «العراق هو مهد العمارة الإسلامية العباسية، في مدن مثل النجف وكربلاء وسامراء»، داعية إلى «اعتبار العمارة الإسلامية مشروعا حضاريا وليس قرارا إداريا»، محذرة من «ضعف الوعي الأكاديمي والتقني لدى خريجي العمارة الذين لا يتلقون تدريبا كافيا في هذا المجال».

رمزية خالدة

من جهته، قال محمد فاهم سعود، معاون رئيس مهندسين معماريين، إن العمارة الإسلامية تتميز بالرمزية الدينية، والروحانية، والاهتمام

محمد فاهم سعود

م. رئيس مهندسين معماريين

بالوظيفة، موضحا أنها تطورت تطورا كبيرا منذ بداياتها البسيطة في صدر الإسلام، مرورا بالعصر العباسي وما بعده. وأوضح فاهم، في حديثه (مجلة النجف الأشرف)، أن «القبة الإسلامية تحمل رمزية العلاقة بين الأرض والسماء، وقد نشأت من موروثات العصور السابقة، وتم تطويرها لتخدم الرمز والوظيفة في العمارة الإسلامية. مشيرا إلى أن «القباب العراقية تتميز بمواد الإنهاءات الخاصة مثل (الكاشي الكربلائي) في العمارة الشيعية، بينما في بقية القباب فهي مشابهة لتلك في الدول الإسلامية الأخرى. وبيّن أن «المواد المستخدمة تقليديا تشمل الطابوق، والجص، والهياكل الحديدية، وأن تقنيات البناء تطورت من استخدام المقرنصات و(العكادة) إلى الهياكل المعدنية». وحول التحديات، أشار فاهم إلى أن «أبرز المشكلات تشمل تلف الجص والطابوق بفعل الرطوبة، وتغير لون الكاشي الكربلائي بسبب الظروف الجوية». موضحا أن «القباب تستخدم اليوم في المداخل والفناءات الوسطية لمنح المبنى رمزية وفخامة»، مشددا على أنها «لا تزال تحتفظ بوظيفتها الرمزية والروحية». كما أكد فاهم، «وجود مشاريع معمارية حديثة في العراق تستخدم القباب في المراكز التجارية، الثقافية، والمتاحف، وحتى بعض البيوت. وعند سؤاله عن أجمل القباب، قال إن «قباب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في النجف، وكربلاء، وبغداد وسامراء، هي الأجمل والأكثر تعبيرا عن الروح الإسلامية». واختتم فاهم حديثه بالتأكيد على أن «مستقبل العمارة الإسلامية في العراق مرتبط بدعم الدولة واستقرارها»، لافتا إلى أن «العراق مليء بالطاقات المعمارية القادرة على التطوير، وأنه يفضل تطوير الطراز الإسلامي تقنيا مع الحفاظ على عناصره الجوهرية».

قباب الأئمة المعصومين في العراق.. إشعاع ديني ورموز خالدة في وجدان الأمة

في أرض العراق، تقف قباب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) شامخة كرموز خالدة للهوية الإسلامية، وروح التشيّع، والتاريخ العقائدي الممتد من النبوة إلى الإمامة. إنها ليست معالم معمارية فحسب، بل مراكز نورانية تجسّد مقاما دينيا رفيعا لأئمة الهدى الذين جسّدوا العلم، والتقوى، والعدالة،

والتضحية. وتعتبر هذه القباب مقصدا لملايين الزوار سنويا من شتى بقاع الأرض، لما تمثله من رمزية روحية، وارتباط وجداني، وعقائدي عميق. ويحتضن العراق الأجساد الطاهرة لستة من الأئمة الاثني عشر، بالإضافة إلى مرقد أبي الفضل العباس(ع)، حامل راية كربلاء وبطلها، في مشهد يجسّد خط الإمامة ونهج أهل البيت(ع).

قبة الإمام علي (عليه السلام) – أمير المؤمنين وباب مدينة العلم

في مدينة النجف الأشرف، تقع قبة الإمام علي بن أبي طالب(ع)، أول أئمة أهل البيت، وزوج السيدة فاطمة الزهراء(ع). ويعد ضريحه الشريف من أقدم وأعظم المزارات الإسلامية، ويتميز بقبة ذهبية ضخمة بُنيت على الطراز الإسلامي الفاطمي، وتم تجديدها عدة مرات على مر العصور، أبرزها في العهد الصفوي والعباسي. ووفقا للبيانات الصادرة عن العتبة العلوية المقدسة، فقد خضعت القبة لأعمال ترميم كبرى شملت تجديد الذهب بالكامل، وتعزيز الهيكل البنائي للقبة والمنارتين، بالإضافة إلى توسعة الصحن الشريف لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار.

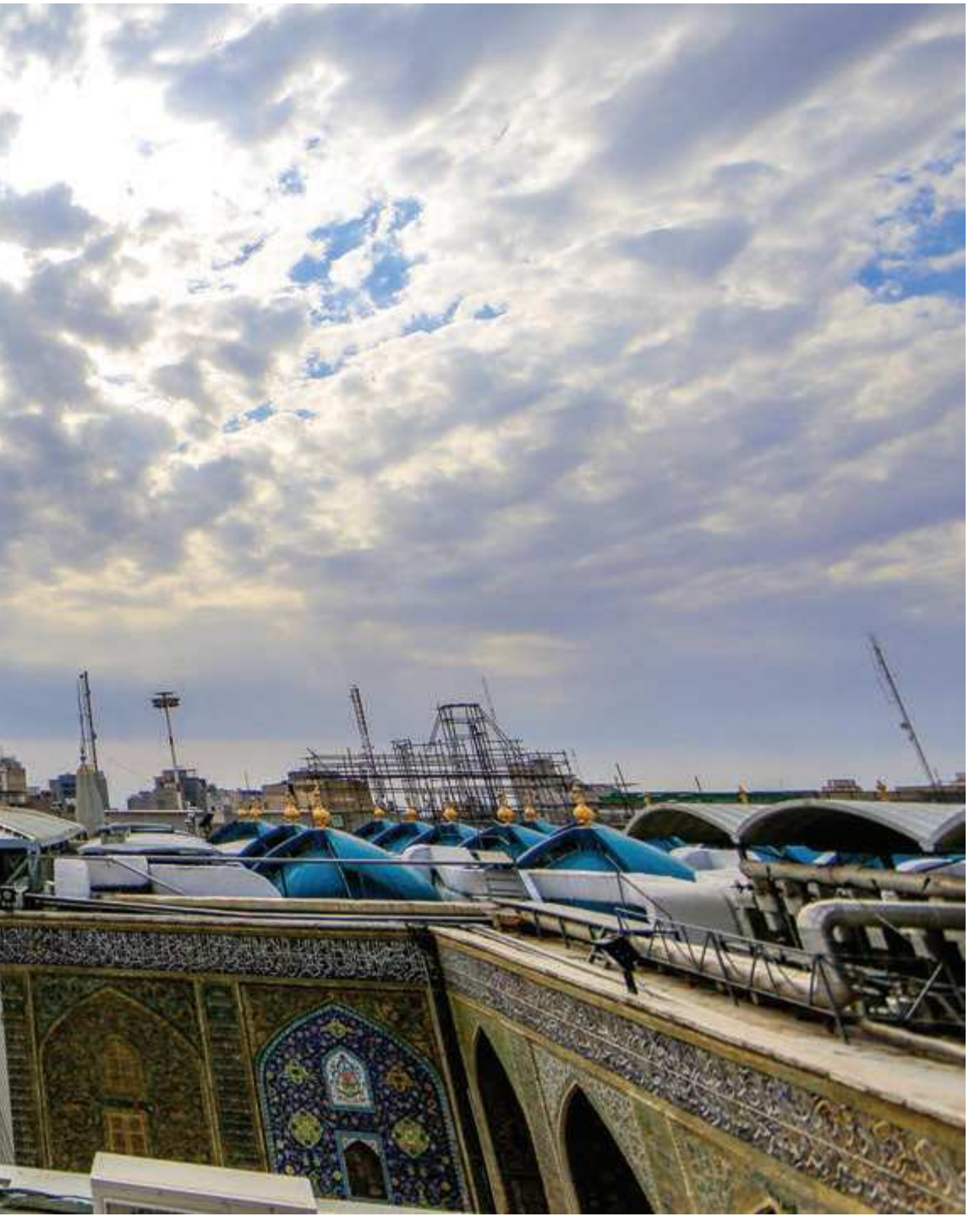

يا حسين

قبة الإمام الحسين (عليه السلام) – ثورة كربلاء الخالدة

في كربلاء، تقف قبة الإمام الحسين بن علي(ع)، ثالث أئمة أهل البيت، التي تعد رمزا خالدا للثورة على الظلم والطغيان. وقد شُيّدت القبة الذهبية فوق قبره الطاهر منذ قرون، وتم ترميمها عدة مرات. وقد أعلنت العتبة الحسينية المقدسة عن انتهاء مشروع تحديث القبة، الذي شمل تقوية الهيكل، وتجديد صفائح الذهب، وتطوير نظم العزل الحراري. كما ذكرت تقارير إخبارية أن المشروع رافقته أعمال توسعة ضخمة داخل الحرم الحسيني الشريف.

قبة أبي الفضل العباس (عليه السلام)– أخ الحسين وساقي العطاشى

إلى جوار أخيه الحسين(ع)، ترتفع قبة أبي الفضل العباس(ع)، وهي أصغر حجما لكنها عظيمة في رمزيتها، حيث يمثل الإمام العباس(ع) عنوانا للبطولة والوفاء في واقعة الطف. ووفقا لما نشره موقع مشاريع الكفيل التابع للعتبة العباسية، فقد شملت أعمال الترميم الأخيرة تحديث البطانة الداخلية للقبة، وتدعيم الهيكل المعدني، وتطوير الإضاءة والنقوش. كما أعلنت تقارير إخبارية عن مشروع توسعة الحرم العباسي لاستيعاب الزائرين في المناسبات الكبرى.

قبة الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) – علم وصبر

في مدينة الكاظمية شمال بغداد، يرقد الإمامان موسى بن جعفر الكاظم (الإمام السابع) ومحمد بن علي الجواد (الإمام التاسع)، (عليهما السلام). وتعدّ قبتاهما الذهبية من أبرز معالم بغداد الدينية. وبحسب وكالة براثا الإخبارية، فقد شمل الترميم الأخير إعادة تذهيب القبة والمنارتين، وتحديث البنية التحتية والمرايا الداخلية. ويشهد المرقد إقبالا واسعا خصوصا في ذكرى استشهاد الإمامين.

قبة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) – نور سامراء المتجدد

في مدينة سامراء، يرقد الإمام علي الهادي(ع) (الإمام العاشر) وولده الإمام الحسن العسكري(ع) (الإمام الحادي عشر)، داخل قبة واحدة تمثل معلما إسلاميا بالغ القدسية. وقد تعرض المرقد لتفجير إرهابي كبير عام ٢٠٠٦ دمر القبة بالكامل، لكن جهودا كبيرة بذلتها العتبة العسكرية المقدسة أدت إلى إعادة بنائه وتذهيبه بالكامل، كما تم تحديث البنية الخرسانية وتثبيت أنظمة مقاومة للزلازل.

رمزية القباب:

بين العقيدة والهوية

تشكل هذه القباب المباركة خارطة مقدسة في وجدان أتباع أهل البيت(ع)، إذ ترتبط بتاريخ الائمة وسيرتهم، وتؤكد استمرارية الوعي الديني والتاريخي. وهي ليست مجرد مبانٍ، بل محطات

روحانية تربط المؤمنين بأئمتهم، وتؤسس لحالة من التلاحم العقائدي والثقافي بين الماضي والحاضر.

خاتمة واستدلال

وهكذا، تظل القبة من أبرز معالم العمارة العراقية، وعنصرا حيا يعكس تواصل الإنسان مع السماء، وتكامله مع الزمان والمكان، في مزيج من الروح والجمال والهوية. فهي عنصر إنشائي، يمثل بعدا روحيا وثقافيا يعكس هوية العراق وتاريخه الطويل. وتنوعت أدوارها بين الديني والعلمي والجمالي، مما جعلها رمزا ثابتا في الذاكرة المعمارية والمخيال الجمعي. وفي ظل تحديات العصر والتحولات المعمارية الحديثة، تبقى القبة حافزا للحفاظ على التراث، ليس بوصفها ماضيا ساكنا، بل كمصدر إلهام حي، قابل للتجديد والتأويل. فالقضية لا تتعلق بإعادة الشكل فحسب، بل بفهم أعمق لدلالاتها الوظيفية والرمزية، وإعادة توظيفها بما يخدم احتياجات الحاضر ويصون جوهر الماضي. وبهذا المعنى، فهي ليست مجرد موروث معماري، بل خطاب بصري وفلسفي يعكس صلة الإنسان بمقدّساته، وتعبيره عن تطلعاته الجمالية والروحية في آن واحد.

مناطات التقييم والنقد الاجتماعيّة

بقلم: علي سعدون

من الأمور التي يمارسها بنو البشر بشكل عفوي هو تقييم ونقد الأشياء أو الأشخاص من حولهم، بل حتّى تقييم ونقد أنفسهم.

والموقف العقلائيّ في النقد يتطلّب من الإنسان أن يكون موضوعيًّا في تقييمه ونقده، وأن يُلاحظ ما له دخل في الأشياء أو ذوات الأشخاص في أخذ موقفه منها، وهذا ما أرشدت إليه جملة من الأحاديث، فقد روي أنّ رجلًا طلب الوصيّة من النبيّ الأكرم -صلّى الله عليه وآله- فكان فيما أوصاه به: «فإنّي أوصيك إذا أنت هممتَ بأمرٍ فتدبّر عاقبته، فإن يكن رشدًا فامضه، وإن يكن غيًا فانته عنه»[1]، فإنّ الحديث ظاهر في ملاحظة عواقب الأمور في اتّخاذ الموقف منها، و(عواقب الأمور) هي جزء ممّا له دخل في واقعيّة الأشياء.

لكنّ الملاحظ أنّ مناطات التقييم والنقد الإجتماعيّة عند جملة من أبناء المجتمع -إن لم يكن هذا هو حال أغلبهم- ترتكز على أمور بعيدة تمامًا عن ذلك، فتُخرجهم عن الموضوعيّة، وهنا نريد نرصد ثلاثة مناطات ممّا جرى عليها عرفنا في التقييم والنقد:

الأوّل: العاطفة وما نريد، نجد جملة من أخوتنا وأحبتنا حينما ينقدون شيئًا أو يقيّمونه يكون ذلك على أساسٍ عاطفيّ اتّجاهه، وما يريدونه منه على ضوء تلك العاطفة، وإن كان بحسب واقعه وما يحوطه من ظروف وملابسات وعواقب يختلف بشكل كلّيّ عمّا انتهت إليه عاطفته ورغبته.

فتجد بعض الأباء يرغب في أن

١ - قرب الإسناد: ص٦٥، ح٢٠٨.

يكون ابنه في اختصاص معيَّن من دون مراعاة لما يمتلكه ابنه من مؤهلات لذلك، كالمستوى المعرفيّ الخاصّ، والرغبة فيه ونحوه، بل فقط لأنّ الأب عاطفيًا يعجبه ذلك ويريده أن يتحقّق في الواقع، بتصوّر أنّه من مصلحة الابن أيضًا.

الثاني: الاعتياد، قد تجد نقدًا لحالة أو شخص لا لشيء فيه يستحق النقد، بل لمجرّد أنّه خلاف ما اعتادوا عليه منه، فمن كان يأكل السكريات والمعجّنات وامتنع عنها قد يواجه نقدًا لفعله، لا لشيء سوى أنّه صار يفعل أمرًا لم يعتده منه ناقده، وإن كان هذا الفعل بحسب الواقع فعلًا حسنًا.

الثالث: المفروض، يعمد جملة من الناقدين على المثاليّة في رؤيته للأشياء والأشخاص، فدائمًا يريد الجميع يعمل على وفق ما هو مفروض ولازم، ومن يُخالف ذلك فهو شخص يستحق النقد، حتّى لو كان المفروض أمرًا مثاليًا كماليًا، والحال أنّ واقع الحياة يصرخ بوضوح: أنّه لا يمكن أن تسير الحياة على وفق ما هو مفروض، بل تسير في جملة من مفاصلها بما أمكن ممّا ينبغي فعله، وأنّ هناك الشيء الكثير ممّا يصدر من بني البشر يكون بعيدًا عن المفروض واللازم، وعلينا أن نتقبّله ما دام غير مخلٍّ بواجب شرعيّ أو انتهاكًا لمحرّم كذلك.

ثمّ إنّ من صور فساد هذه الملاكات في التقييم والنقد أنّها تتقاطع فيما بينها، فنجد ممّا هو مفروض أن يتجّنب الإنسان كالمعجّنات والسكريات خصوصًا لمن تجاوز الأربعين من العمر، لكن ما أن يُمتثل ذلك المفروض إلّا ويجد الاعتياد ينتقده، ويجعله شخصًا غريبًا أو مختلفًا أو رُبّما شاذًا في محيط أصدقائه أو أسرته.

ولا يهدف هذا المقال إلى أن يكون بنو البشر مثاليّين في نقدهم وتقييمهم فهو خلف ما تقدّم هنا، ولكن يهدف إلى تسليط الضوء على ذلك، وتأشير مدى مجانبته للواقع العقلائيّ؛ فإنّ أوّل خطوات حلّ الأزمات والمشاكل هو تشخيصها، وإدراك طبيعتها، وتداول الحديث فيها، ولفت الأنظار إليها، ممّا يشكّل وعيًا بها، وبمفاسدها، على أمل أن ينعكس ذلك الوعي على الفعل الخارجيّ فيُخفِّف من آثارها السلبيّة الإجتماعيّة.

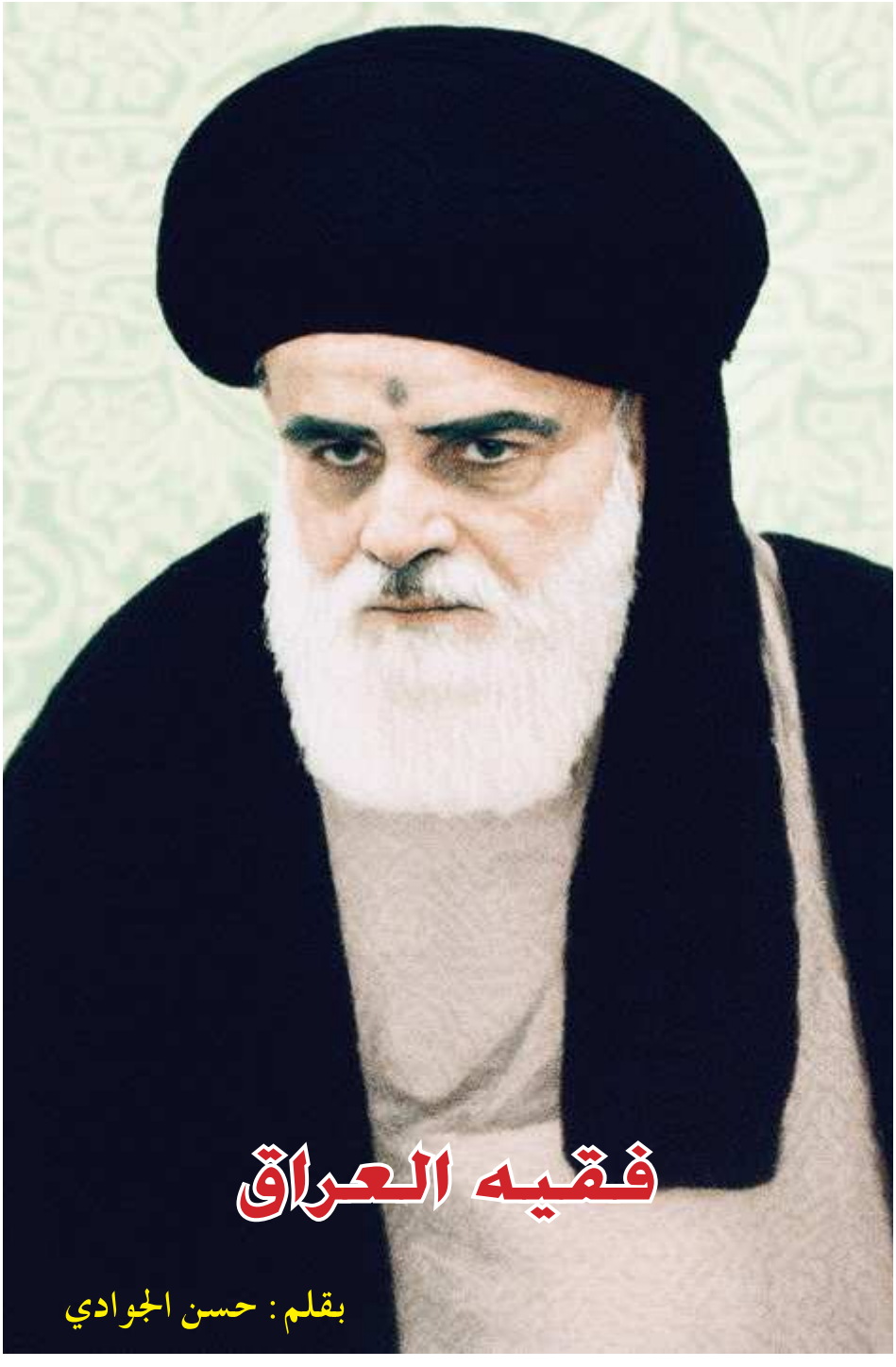

فقيه العراق

بقلم : حسن الجوادي

خط قلم الحياة اسم السيد إسماعيل الصدر في مدينة أصفهان حيث شهدت ولادته سنة ١٢٥٨هـ، تلك المدينة الجميلة المذهلة في عمرانها وطبيعتها الخلّابة، والتي كانت ينبوع نخبة من علماء الطائفة، مثل العلامة المجلسي والبهائي والميرداماد والسيد أبو الحسن الاصفهاني، وغيرهم ممن ذاع اسمه في الآفاق، فهو اما نشأ فيها او درس في مدرستها العلمية العريقة.

في ظلال آل الصدر

السيد إسماعيل الصدر، هو ابن السيد صدر الدين، وهو أول من حمل لقب الصدر وعرفت الاسرة الشهيرة بآل الصدر بسببه، ويذكر بعض المؤرخين والمترجمين سبب لقب السيد إسماعيل بالصدر، وذلك لانّه كان يدرس عند المجدد الشيرازي في سامراء، وكان للمجدد طالب آخر يحمل نفس اسم السيد إسماعيل، وحتى يستقلّ كل واحد باسمه وعنوانه، لقبّ المجدد الشيرازي السيد إسماعيل صدر الدين بالصدر، ولقب الثاني بالشيرازي، لانّه كان ابن عم المجدد الشيرازي[١].

عاش السيد إسماعيل اول سني عمره مع والده العلامة الكبير السيد صدر الدين محمد بن صالح بن محمد الذي ينتهي بنسبه الى الامام موسى الكاظم[٤]

وأصل أبيه من جبل عامل من قرية تسمى شدغيث[٢]، وفقد والده في السنة الخامسة او الثامنة من عمره، فتكفّله وربّاه اخوه الأكبر السيد محمد علي (آغا مجتهد) وبقي في رعايته التربوية والعلمية حتى سنة ١٤ من عمره، وبعد وفاته تكفّله الشيخ محمد باقر الاصبهاني.

امّا جدّه السيد صالح، فهو من علماء جبل عامل في لبنان، وهي موطنهم الأصل، حيث ولد السيد صالح سنة ١١٢٢هـ، في شحور احد قرى مدينة صور في جبل عامل ولكنه اضطر ان يرحل الى النجف الاشرف نتيجة ظروف قاهرة وفتنة عصيبة فقد احد أولاده فيها، فوصل الى النجف والتحق به فيما بعد أولاده السيد محمد علي والسيد صدر الدين الذي صار فيما بعد احد الاعيان والاخيار من العلماء الاجلاء.

١. المشجر الوافي، السيد حسين أبو سعيدة، ج٣، ص٤٩٦.

٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٣، ص ٤٠٣

أولاده

١. السيد محمد مهدي الصدر. عالم الكاظمية توفي (١٣٥٨هـ).

٢. السيد صدر الدين الصدر سمّي جده وعالم فقيه كبير الشأن توفي(١٣٧٣هـ).

٣. السيد محمد جواد الصدر. علامة فقيه توفي (١٣٦١هـ).

٤. السيد حيدر الصدر والد الشهيد السيد محمد باقر الصدر والسيد إسماعيل والعلوية آمنة الصدر، علامة معروف توفي (١٣٥٦هـ).

تنقلاته

تنقل السيد إسماعيل(طاب ثراه) في عدد من البلدان والامصار الإسلامية، ففي بادئ الأمر من الولادة الى فترة فتوته في أصفهان، ثم انتقل الى النجف الاشرف سنة (١٢٧١هـ) وتتلمذ في هذه الفترة على الشيخ راضي آل خضر النجفي، والشيخ مهدي كاشف الغطاء، ثم انتقل سنة ١٣٠٩هـ الى مدينة سامراء، حيث لازم استاذه المجدد الشيرازي(طاب ثراه) وصار من ابرز واظهر تلامذته، وبعد وفاته هاجر إلى الحائر الشريف مروجا للدين وحافظا للعلماء ومساعدا للمشتغلين وعونا للضعفاء والمساكين يوصل الوجوه والحقوق إلى أهلها بلا منة ولا شرط فكان من مراجع التقليد في أغلب الأطراف إلى أن توفى في الكاظمية[٣].

٣. طبقات اعلام الشيعة: اغا بزرك الطهراني، ج١٣، ص١٦٠.

على لسان العلماء

اطرى نخبة من اعلام الطائفة على شخصية السيد إسماعيل الصدر، وذكره نخبة من المترجمين والمعنيين بتراث علماء الطائفة، وكلمات الثناء بحقه كثيرة، نقتطف من هذه الحديقة الغنّاء بعض القبسات الجميلة منها:

١. السيد شرف الدين: الإمام الكبير حجة الإسلام، وآية الله في الأنام، قدوتنا المولى السيد إسماعيل الصدر[٤].

٢. الشيخ ذبيح الله المحلاتي: العلّامة المهذّب البارع المولى الحجّة السيّد إسماعيل الصدر الذي انتهت إليه رياسة الإماميّة في عصره[٥].

٣. قال السيد كاظم الحائري: رئيس الأمّة، وزعيم الملّة، مربّي الفقهاء، وصدر العلماء، أستاذ المجتهدين والمحقّقين، نائب الإمام، سيّد الأنام، حامي الشريعة، وفخر الشيعة، حسنة دهره، وجوهرة عصره، الإمام الزاهد، الورع التقيّ، آية الله العظمى والحجّة الكبرى (السيّد إسماعيل الصدر) الأصفهاني (قدس سرّه)[٦].

سيد جليل، وعالم كامل، وخبير ماهر،

٤. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، السيد شرف الدين، ص ٨٧.

٥. مآثر الكبراء تاريخ سامراء، الشيخ ذبيح الله المحلاتي، ج٢، ص٩٠.

٦. من كلام السيد الحائري في مقدمة مباحث الأصول، ج١، ص٢٢.

فقيه أصوليّ، محقّق عبقريّ، واحد زمانه في الزهد، ونادرة دهره في التقوى. كان أحد مراجع الشيعة في التقليد.

٤. الدكتور حسين علي محفوظ: السيد إسماعيل الصدر، فقد كان من كبار رجال الفقه وأعلام الاجتهاد والتضلع والحكمة وعلم المعقول[٧]

تلامذته

استفاد من مجلس درسه العلمي نخبة من العلماء الذين صاروا فيما بعد من كبار علماء الطائفة منهم الفقيه والمحقق والمرجع والأستاذ، ونذكر نخبة منهم:

١. الميرزا محمد حسين النائيني (طاب ثراه) المحقق الاصولي الشهير.

٢. السيد علي السيستاني (طاب ثراه) جد المرجع الأعلى المعاصر السيد السيستاني، وقد صار من كبار علماء مشهد ومن مراجع التقليد الذين يشار لهم.

٣. الشيخ محمد حسين آل ياسين (طاب ثراه)

٤. السيد داوود الخراساني

٥. السيد رضا الفيروزآبادي

٦. السيد محمد علي النوري

٧. الأغا محمد حسين الطبسي

٨. الشيخ علي الجشي.

٩. الشيخ محمد علي السنقري

١٠. الشيخ علي محمد الكابلي

٧. انساب ومشجرات الاسر والبيوتات في الكاظمية: الدكتور حسين علي محفوظ، ص١٠٢.

١١. الميرزا محسن الزنجاني

١٢. السيد موسى الفقيه السبزواري

مواقفه

يمكن تقسيم وتوزيع مواقفه (طاب ثراه) المواقف الاجتماعية والتي كان من ابرزها حرصه على السلم المجتمعي، ونبذ التفرقة والخلافات الاجتماعية التي تؤدي الى زعزعة المجتمع وخسرانه امنه وتلاحمه ونقل بعض المترجمين ان للسيد الصدر مواقف في هذا الامر معروفة.

واما مواقفه العلمية فتروى بعض القصص والحكايات عن مكانة وموقعية السيد إسماعيل عند المجدد الشيرازي، ومن ذلك انه كان مستشارا رسميّا للميرزا الشيرازي، وله دور كبير في إعلان فتوى تحريم التنباك التي أصدرها الميرزا (رحمه الله)[٨].

كما ان حركته الدؤوبة في العلم ونشره بارزة معروفة، وقد دونت بعض صحائف المترجمين انّه قد طرح ذات مرة إشكالية في الأصول، عرفت فيما بعد بالشبهة العبائية، وقد تناولها غير واحد من علماء الامة، وتعرض لها في اجود التقريرات[٩] وتنقيح الأصول[١٠] وغيرهما الكثير.

٨ من ترجمة السيد باقر خسروا شاهي، لكتاب المهدي للسيد صدر الدين الصدر، ص١٦.

٩. اجود التقريرات: تقرير بحث النائيني للسيد الخوئي، ج٢، ص٣٩٤.

١٠. تنقيح الأصول: تقرير بحث آغا ضياء الدين،

مجالس الوعظ والعزاء

دأب علماء الشيعة الى الاهتمام بالموعظة والتوجيه الى جنب عقد مأتم الامام الحسين(ع) وتذكر ما جرى في عاشوراء وما أصاب اهل البيت(ع) في تلك الواقعة الأليمة والمصيبة الراتبة، وقد ذكر العلامة الطهراني في الطبقات حادثة تدل على اهتمام السيد إسماعيل الصدر(طاب ثراه) بمجالس العزاء، ننقل نصها: ولا أزال أتذكر أنني حضرت مجلس الحجة السيد إسماعيل الصدر المتوفى سنة ١٣٣٨ في كربلا قبل أكثر من نصف قرن، وكنت زائرا، وكان المترجم له حاضرا، فتوجه اليه الصدر رحمه اللّه قائلا بالفارسية (آقاي شيخ قدري ما را موعظة كنيد) – حضرة الشيخ عظونا قليلا – فشرع بالوعظ وقراءة التعزية جالسا دون ارتقاء المنبر(١١).

مجالس العلم

كان السيد إسماعيل الصدر كثير الاهتمام بمجالس العلماء، لا سيما الفقهاء الكبار منهم، ونقل السيد محسن الحكيم حادثة يأتي فيها ذكر السيد المترجم له قائلاً: حدث بعض الأعاظم دام تأييده أنه حضر يوما منزل الآخوند (ملا فتح علي قدس سره) مع جماعة من الأعيان منهم السيد إسماعيل الصدر(ره) والحاج النوري صاحب المستدرك (ره) والسيد حسن الصدر دام ظله فتلا الآخوند(ره) قوله تعالى: ﴿واعملوا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان... الآية﴾ ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: حبب إليكم... الآية وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضا وتعجبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوما ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوما فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه(١٢).

مواقفه الجهادية

كانت للسيد إسماعيل مواقف جهادية ضد أعداء وخصوم الإسلام، منها فتواه سنة ١٣٣٢ هـ تعقيباً على جواب السيّد محمّد كاظم اليزدي عن سؤال موجّه إليه أفتى فيه بالجهاد والنفير: «بسم الله الرحمن الرحيم. لا شبهة في لزوم دفع وقلع وقمع الكفّار في مفروض السؤال كما يأمر المرقوم مدّ ظلّه العالي. حرّره الراجي

للسيد رضا الطباطائي، ص٢٨١.

١١. طبقات أعلام الشيعة: آغا بزرك الطهراني، ج١٦، ص١٣٦٧.

١٢. حقائق الأصول: السيد محسن الحكيم، ج١، ص٩٥.

إسماعيل صدر الدين؛ محمّد حسين الحايري المازندراني؛ الأقل علي ابن الشيخ؛ الجاني مهدي آل السيّد حيدر الحسني الحسيني[١٣].

مرجعيته

اخذت قاعدته الجماهيرية تتسع بعد رحيل استاذه المجدد الشيرازي(طاب ثراه) سنة ١٣١٢هـ، وصار من العلماء المؤثرين في الأوساط العلمية والاجتماعية، فرجع اليه التقليد وصار المرجع العام والمقدّم على كلّ الاعلام، وبعد سنتين انتقل الى كربلاء المقدسة (١٣١٤هـ) ويتضح علو مرجعيته من دعاء السيد حسن الصدر له قائلاً: (أدام الله سبحانه ظله على رؤوس الشيعة)[١٤]، قال في مرآة الشرق: انتهت إلى المترجم الرياسة والمرجعية العامة، ورجع إليه شعوب من الشيعة في الأقطار ونهض المترجم بالأمر أحسن نهوض وأمتنه ووقتئذ هاجر المترجم من دار الهجرة إلى الحائر الشريف الحسيني تخصيصاً منه دار الهجرة، لحوزة حضرة العلّامة الميرزا محمّدتقي الشيرازي العسكري وكفايته للقيام بأمرها[١٥].

١٣. السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق: احمد أبو زيد العاملي، ج١، ص١٦٣.
١٤. تكملة أمل الامل: السيد حسن الصدر، ج١، ص٥٨.
١٥. مرآة الشرق، موسوعة اعلام الشيعة الامامية في القرني الثالث والرابع عشر، للشيخ محمد امين الامامي الخوئي، ج١، ص٧٩.

نداء الرحيل

توفي العلامة الكبير السيد إسماعيل الموسوي الصدر في مدينة الكاظمية يوم الثلاثاء في الثاني عشر من جمادى الأولى ١٣٣٨هـ /١٩١٩م[١٦]. ودفن في الرواق الشرقي في الحجرة الأولى يمين الداخل من الباب الصغير الواقع الى يمين الرئيس[١٧]، ودفن بجواره أولاده السيد حيدر والسيد محمد مهدي والسيد محمد جواد، وصارت هذه البقعة داخل صحن الامام الكاظم(ع) مقبرة معروفة عرفت بمقبرة آل الصدر، وقد أجريت عليها إدارة العتبة الكاظمية إعادة تعديل وتأهيل.

وانشد الشعر في رحيله منه:

لئن يك أخفى القبر شخصك في الثرى
فهيهات ما أخفى فضائلك القبر
لقد كنت سرّ الله بين عباده
ومن سنن العادات أن يكتم السرّ
فطوبى لقبر أنت فيه مغيب
فقد غاب في أطباق تربته البدر
ولست بمستسق له القطر بعد ما
غدا بثراه اليوم ينتجع القطر
تخيرت صدر الخلد مأوى فأرّخوا:
من الخلد إسماعيل طاب له الصدر[١٨].

١٦. المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج٩، ص١٩١.
١٧. آية الله السيد محمد مهدي الصدر: عبد الكريم الدباغ، ص١٥.
١٨. درة الصدف فيمن تلمذ من علماء أصفهان بالنجف: الشيخ رحيم القاسمي، ج٣، ص١٤٥.

مستشفى الكفيل التخصصي

كربلاء تواكب المشهد الطبي العلمي

تحرير : رشا الخالدي

مركزا مستشفى الكفيل وكربلاء للقلب ينظمان جلسات علمية تناقش مستجدات التخصص عالمياً

في خطوة رائدة نحو تعزيز المكانة العلمية والطبية لمحافظة كربلاء، يستمر مركز القلب في مستشفى الكفيل التخصصي في تنظيم جلسات علمية بالشراكة مع مركز كربلاء لأمراض القلب، فيما شهدت هذه المبادرة العلمية

توسعاً لتشمل هيئة الصحة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة ومراكز قلب أخرى من محافظتي بابل والنجف، مما يعكس رؤية طموحه لجعل كربلاء مدينة رائدة بمجال الطب.

وذكر مدير مركز القلب في مستشفى الكفيل التخصصي، الدكتور أحمد عبودي، ان هذا التعاون العلمي بدأ مع مركز كربلاء للقلب، وشهدنا نمواً ملحوظاً في هذا المجال، حيث انضمت إلينا هيئة الصحة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة ومراكز أخرى مختصة بجراحة القلب من محافظتي بابل والنجف، مشيرا الى ان هذه الفعالية العلمية مستمرة لمواكبة آخر البحوث والمستجدات العلمية التي تخص الأمراض القلبية، سواء على المستوى الجراحي أو التداخلي بالقسطرة.

وأضاف عبودي، ان هذه الفعالية تركز على تبادل المعلومات والخبرات بين الفرق الطبية المختلفة، وصولاً إلى تقديم خدمة طبية أفضل للمرضى، منوها الى ان هذه الملتقيات والجلسات والورش العلمية ستستمر شهرياً، ومع اختلاف الموقع الجغرافي لانعقادها، لكن الهدف يبقى واحداً وهو تطوير الخبرات والارتقاء بالخدمة المقدمة للمرضى.

من جانبه، أوضح الدكتور أحمد قاسم الحيدري، مدير مركز كربلاء لأمراض القلب، ان اللقاء العلمي هذا ركز على أمراض الصمام الأبهر، وهو موضوع متقدم حالياً على مستوى العالم، وهناك العديد من الدراسات حول هذا الموضوع، وآخرها ما تم طرحه من دراسات ومخرجات في المؤتمر العالمي الأوروبي الذي أقيم في مدريد، والذي ضم تحديثات وتوصيات علمية جديدة، ولابد لنا من مواكبة هذه التطورات.

وأكد الحيدري على استمرارية التعاون بين مركزي كربلاء ومستشفى الكفيل لأمراض القلب، كونه يعطي انعكاسات إيجابية لمرضانا سواء من محافظة كربلاء أو المحافظات الاخرى.

الحلقة الأولى

المآذن الإسلامية
تاريخها، تصاميمها

المهندس الاستشاري تحسين عمارة

المآذن ذات المساقط المربعة

بهذه الصفات المشتركة تعرف المآذن الإسلامية بتاريخها وتصاميمها لأن غايتها معروفة، فلفظ مآذن جمع مئذنة وتعني مكان الآذان، أو موضع مناداة المؤمنين كل يوم إيذانًا بمواقيت الصلاة، سواء كان أصل المئذنة برج مراقبة روماني، أو جرس كنيسة بيزنطي، أم منارة لهداية السفن، **(الصورة الأولى)** أو لهداية المسافرين في البر، مثل منارة موجودة بين الكوفة والأخيضر. **(الصورة الثانية)**

وهناك من يطلق عليها منارة مما توارد من شكلها القديم ووظيفتها في ارشاد العابرين ويصح اللفظ فهي أيضا تنير طريق المسلمين لتحديد مواقيت الصلاة. وفي المغرب يطلقون عليها لفظ صومعة.

ان الاهتمام الذي أعطاه الإسلام لوظيفتها ولشكلها، زاد على حضارة البناء عنصرًا روحانيًا تميز بالأناقة والخلق والأصالة، وجعل منها ظاهرة معمارية جديدة تفرّدت بها المدينة الإسلامية دون سواها. (موسوعة العمارة الاسلامية)

في هذه الحلقة والحلقات القادمة سوف نستعرض تصاميم المآذن في مختلف البلدان الإسلامية وحتى غير الإسلامية فهي اليوم منتشرة في أغلب بقاع الأرض من الشرق إلى الغرب وتغطي كافة القارات، وحسب ما هو متواتر نستعرض تصميمها وحسب العصور التاريخية.

ويتميز في المآذن الإسلامية عدا الحديثة منها وجود الشرفة وهي المكان المرتفع الذي يصل إليه الدرج حيث يقف المؤذن ليرفع الأذان، ويجب أن تحيط ببدن المئذنة لأن المؤذن لا يقف في مكان ثابت وعليه أن ينتقل في كل الجهات ليسمع نداؤه من كل الأرجاء، والشرفة تكون غالبًا مسقوفة للحماية من الحر والمطر، وهناك مآذن لها أكثر من شرفة، كلما ارتفعت صغرت مساحتها، ومعظمها جمالي لا وظيفة له. (م. ن.)؛ ثم وضعت مكبرات الصوت بدل أن يقف المؤذن مناديًا للصلاة ويظهر ذلك من خلال الصور الحديثة.

الصورة: الثالثة

وتنتهي المئذنة بالجوسق (الحصن) وهو القسم الذي يلي الشرفة الأخيرة، يليه قبّة المئذنة وقد تنتهي المئذنة بهلال تتجه فتحته نحو القبلة. **(الصورة الثالثة)**

ولا بد لنا أن نبدأ بالبدايات الأولى مع أول مسجد أقيم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة، ولم يعهد المسلمون حينها وجود المآذن، ويروى أن بلال بن رباح مؤذن الرسول قد كان ينادي للصلاة من أمام باب المصلى، أو على سطح المسجد، أو فوق بناء مجاور. **(الصورة الرابعة)**

وفي العقود الإسلامية الأولى، لم يعرف المسلمون المآذن، ويعتقد أن أولاها، تلك التي بناها بالحجارة في البصرة، زياد بن أبيه، في السنة الخامسة والأربعين بعد الهجرة (٦٦٥م). (عالم المعرفة ١٩٨١/٣٧)

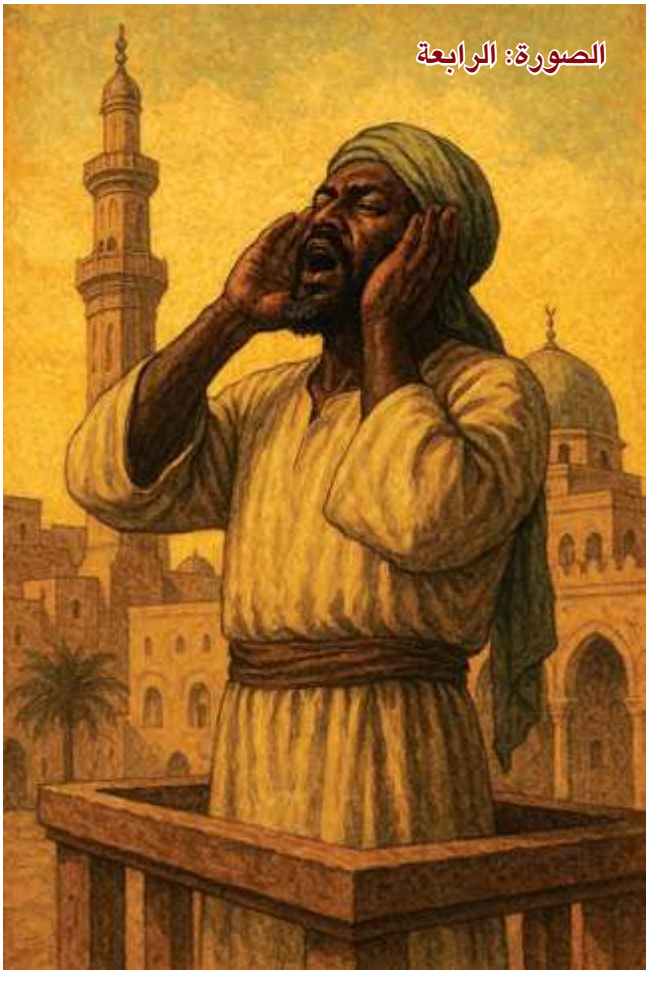
الصورة: الرابعة

وفي السنة الثالثة والخمسين بعد الهجرة (٦٧٢م) تم بناء أربع صوامع في أركان جامع الفسطاط بمصر **(الصورة الخامسة)**. (م. ن.) الذي لم يبق على حاله وشهد تغيرات وتوسعات واصلاحات عديدة عبر تاريخه ليظهر بالشكل الحالي. **(الصورة السادسة)**.

أما مآذن الجامع الأموي بدمشق فهي بقايا الأبراج الرومانية

الصورة: الخامسة

الصورة: السادسة

والمسيحية والشكل الحالي لا يعود تاريخه إلى ما قبل نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). **(الصورة السابعة)**

وشكل المئذنة المربعة المسقط هيمن على تصاميم كل المآذن المغربية والأندلسية على مر العصور وتقليداً لمئذنة المسجد الجامع في القيروان، والتي

الصورة: السابعة

يظن، حتى الآن، أنها أقدم مئذنة في تاريخ العمارة الإسلامية، وما زالت محافظة على الشكل الأول، بالرغم من التعديلات التي طرأت عليها، منذ بناء الجامع ما بين السنتين الخمسين والخامسة والخمسين الهجريتين (٦٧٠ ـ ٦٧٤م)، وتم تجديد البناء في السنة الخامسة بعد المئة هجرية (٧٢٣م) **(الصورة الثامنة)**

الصورة: الثامنة

الصورة: التاسعة

الصورة: العاشرة

ومئذنة الجامع الكبير في القيروان تتكون من ثلاث طبقات، وترتفع على مربع يبلغ ضلعه أحد عشر مترًا وتحتل منتصف الجدار الشمالي للصحن ويصل ارتفاعها إلى ٣١،٥ متر. ويذكر أن أكثر مآذن المغرب مستقلة عن بيت الصلاة

تقليدًا لمئذنة القيروان. (الصورة التاسعة)

وهذا التصميم المربع الذي نادرا ما نراه في المشرق الإسلامي، بقي نموذجًا للمآذن والأبراج في المغرب الكبير، وأسبانيا المسلمة، والتصميم بنوافذه وعقوده وشرفاته وهيمنة الكتلة الكبيرة، وكذلك موقعها في المسجد، ومن تلك التصاميم مآذن جامع الزيتونة في تونس وجاءت تسميته من وجود شجرة زيتون واحدة في وسط ساحة الجامع الذي تأسس عام ٧٩هـ/ ٦٩٨م واكتمل في عام ١١٤هـ/٧٣٢م. (الصورة العاشرة)

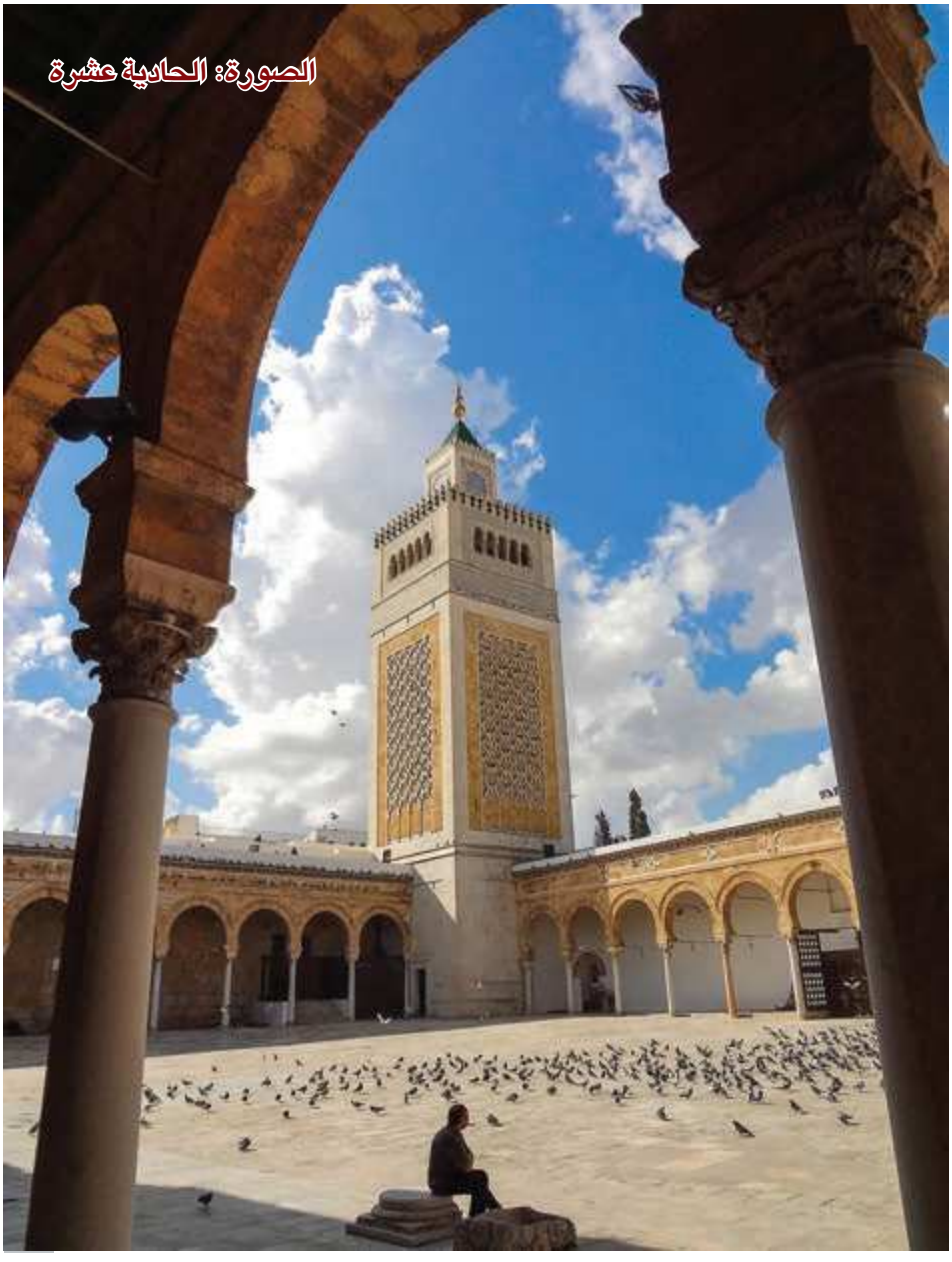

الصورة: الحادية عشرة

الصورة: الثانية عشرة

حديث الصورة

إلا أن بناء المئذنة في جامع الزيتونة جاء متأخرًا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ونودي للصلاة والآذان من أعلى المئذنة لأول مرة في رمضان ١٣١٢هـ/ كانون الأول ١٨٩٤م. **(الصورة الحادية عشرة)**.

وما زلنا في شمال أفريقيا وتصاميم المآذن المربعة المسقط، وبغض النظر عن تاريخ البناء، نذهب إلى جامع الكُتبية أكبر مسجد في مراكش **(الصورة الثانية عشرة)**، في القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي) وجاءت التسمية من وجود محلات بيع الكتب والمخطوطات القديمة في الواجهة الشرقية للمسجد. وتظهر المئذنة بنوافذها وشرفتها المطلة على فناء الجامع. **(الصورة الثالثة عشرة)**

الصورة: الثالثة عشرة

الصورة: الرابعة عشرة

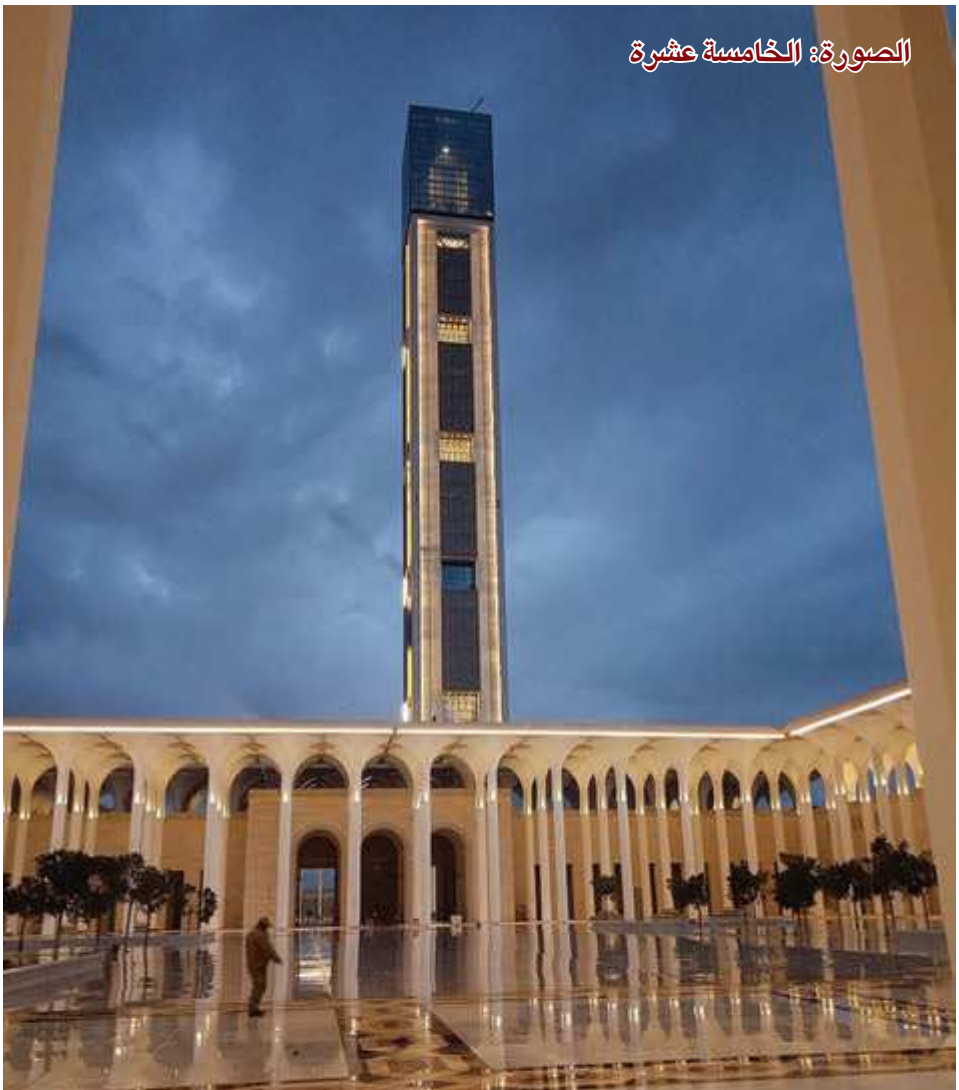

الصورة: الخامسة عشرة

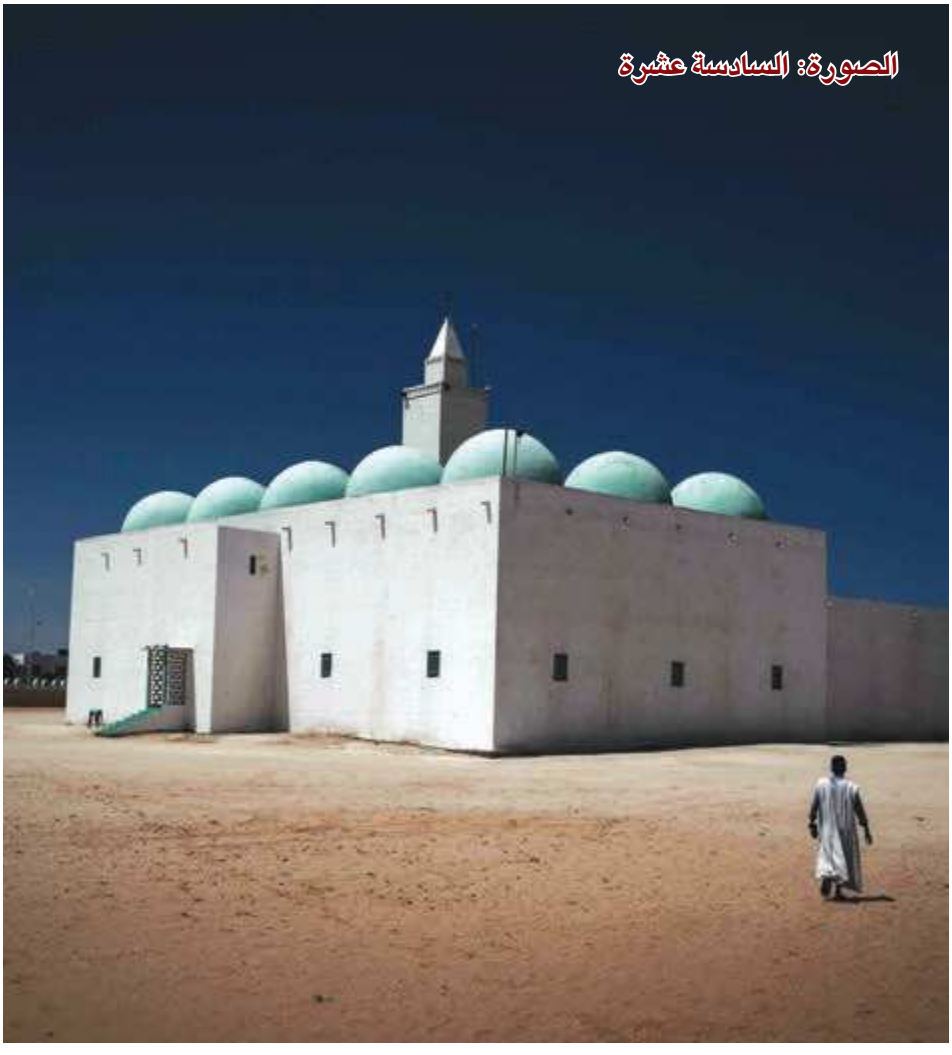
الصورة: السادسة عشرة

وننتقل للجزائر وجامعها الذي يعتبر أكبر مسجد في أفريقيا. (**الصورة الرابعة عشرة**). بمئذنته الشامخة، والتي صممت باصالة المآذن المغربية، ولكن بهندسة معمارية حديثة، وتعتبر أطول مئذنة بالعالم بارتفاع ٢٦٥ متر بطوابقها الثلاث والأربعين. (**الصورة الخامسة عشرة**)

بطراز مآذنها الفاطمي، نعرج على موريتانيا وجامع ابن عباس والذي يعتبر أكبر وأهم جامع فيها، الذي يقع في العاصمة نواكشوط، ويتميز بمئذنته بمساقطها المربعة، والذي تم تأسيسه في ثمانينيات القرن الماضي. (**الصورة السادسة عشرة**)

الغُدد الصُم

بقلم: مسلم عقيل القراغولي

يُحكى أن الجسم الحي مكون من الملايين التي لا تكاد تُعد من الخلايا، ولكلّ خليةٍ أعمالٌ تقوم بها، لنفسها ولغيرها من الخلايا. ومن الخلايا تتألف الأنسجة، ولكل نسيج عملٌ خاصٌ به، لنفسه ولغيره من الأنسجة، ومن الأنسجة تتألف الأجهزة، ولها فروضها والواجبات. والجسم كلّه وحدةٌ متوحّدة، ولا يكون توحّد مع هذه الإجراءات الحيوية الكثيرة المختلفة، والمتناقضة المتعارضة أحيانًا، إلّا أن يقوم بينها تنسيقٌ وتأليفٌ وتعاون، وإذن لا بد من مُنسِّق.

حينما يُذكر لفظ الغدد، فإن أول ما يتبادر الى ذهننا تلك الأجسام الصغيرة المنتشرة في أنحاء الجسد، مصانعٌ تفرز مواد ضرورية لحياتنا اليومية، ومن أمثلتها الغدد اللعابية في الفم، وهي تفرز اللعاب فيه عن طريق قنوات تصب في الفم. ومن أمثلة الغدد كذلك غدة البنكرياس، وهي تفرز إنزيمات

هاضمة تساعد في عملية الهضم، وهذه الإنزيمات تخرج من هذه الغدة عن طريق قناة تعرف بقناة البنكرياس، لتصب في الأمعاء، في الاثني عشري تحديدًا، لتقوم بمعونة أعمال الهضم التي تجري في الأمعاء الدقيقة، وهي تهضم البروتين والسكريات والدهون.

هذه الغدد، كغدة البنكرياس، تفرز الإنزيمات وتصبها حيث تريد عن طريق قناة تُعرف باسمها، قناة البنكرياس كما ذكرنا.

أما الغدد الصم -أو الصماء- التي نحن بصددها، فإنما سُميت كذلك لأنه لا قنوات لها، وإفرازاتها إنما تجري مع الدم الذي بها، وعن طريق الدم تتوزع على كل أرجاء الجسم، وتصل الى الأهداف التي تستهدفها في الجسم، فتفعل فيها أفعالها المقصودة، والمادة التي تفرزها هذه الغدد تعرف بالهرمونات.

ومن هذه الغدد الغدة الدرقية، الغدة النخامية، الغدة الكظرية، الغدة الصنوبرية، الخصى والمبايض، وحتى البنكرياس، لديه وظيفة صماء، وسنأتي عليها. ولكن قبل الخوض في تفاصيل الغدد، لا بد أن نفهم أولًا ما هي الهرمونات.

إن الهرمونات تخرج من الغدة الصماء، وتدخل الدم مباشرةً وتجري في الدورة الدموية، ويدور بها الدم حتى إذا بلغ بها مكان عملها الذي تريد، تركت مسيرة الدم، ودخلت الى العضو الذي تريد، وبدأت تعمل عملها المطلوب منها. وأقول «العضو الذي تريد» لأن هذه الهرمونات لها من الذكاء أنها تعرف ماذا يُراد منها، وأنها تقف لانجازه عندما تصل إليه.

وهنا يجب التساؤل، ما عمل هذه الهرمونات؟

ولإيضاحه نضرب مثلًا لذلك، غدة البنكرياس التي ذكرنا أنها تفرز الإنزيمات اللازمة للهضم، تصبها في المعي الاثني عشري، ولكن متى تفعل هي ذلك؟

إن الوقت المناسب لذلك هو بعد تناول الطعام، بعد هضم الطعام -جزئيًا- في المعدة، وبدء خروجه منها الى المعي الاثني عشري، الذي فيه يصب البنكرياس إنزيماته، هذا هو الوقت المناسب لوصول الإنزيمات الهاضمة.

ولكن من يدل البنكرياس على أن الطعام وصل؟ انه الهرمون.

ولكن كيف؟

تفسير ذلك، أن خلايا الاثني عشري تحتوي على مادة تُدعى بروسيكرتين (Prosecretin)، فعندما تنتهي المعدة من هضم الطعام -جزئيًا- ويمر هذا

الطعام المهضوم إلى الاثني عشري، يصاحبه حامض المعدة. وعند ملامسة هذا الحامض لجدار الأمعاء، تتحول مادة البروسيكرتين إلى سيكرتين (Secretin) وهذه المادة هرمون، يجري في الدم مع الدورة الدموية في الجسم، فإذا هو وصل الى البنكرياس، اخبره بأن الطعام وصل الى الاثني عشري، وإذن يأخذ البنكرياس في إفراز إنزيماته التي يصبها للهضم في الاثني عشري.

بعبارة أخرى، عندما تريد أنت صنع شيء معين، ولتكن أكلة معينة، فأنت تبدأ بمادة ما، وتأخذ تُغيّر فيها وتُبدّل على دفعاتٍ لتنتج تركيبًا جديدًا، فأنت تقوم على كل هذه الخطوات ترقبها، وفي الموعد الموقوت تضيف مادة جديدة، في سبيل الوصول الى الغاية. المهم أن تكون الإضافة في موعد موقوت.

عملية التوقيت هذه لا بد منها

وعملية البنكرياس هذه، عملية توقيت كذلك، قام الهرمون مقامك أنت. رسولٌ كان لا بد منه، يقوم من الاثني عشري ويدخل الدورة الدموية، ليصل الى البنكرياس في الوقت المناسب، ليقول له الآن افرز إنزيماتك فالطعام وصل.

غدة البنكرياس، هي غدةٌ موضعها من جسم الإنسان خلف المعدة على مقربة من جدار الظهر الداخلي، وهي غدة جمعت بين صنفي الغدد في الجسم من صماء وغير صماء. والمثال الذي ضربناه إنما هو عمل الغدة التي لها قناة تصب منها.

وأما عملها كغدة صماء، فبها خلايا تفرز هرمونًا هو الهرمون الشهير المعروف بالأنسولين، تصنعه ثم تفرزه، وهي لا تصبه بواسطة قناة، إنما تصبه فيما حولها من شعيرات من دم، ويذهب الأنسولين في الدورة الدموية الى حيث تذهب الدورة من الجسم الى كل أرجائه، الى كل خلاياه.

وهناك يجد الإنسولين السكر الذي وصل الى الخلايا من هضم الأغذية، يجده عند الخلايا، يريد أن يدخلها ليحترق وهو لا يستطيع الدخول إلا بعون الأنسولين.

وكيف يكون هذا العون؟ بحثٌ دقيق خُلاصته أن الإنسولين يحمل السكر من الدم ويُدخله الى الخلية، كالمفتاح الذي يفتح الباب، يفتح الإنسولين الخلية ويُدخل السكر إليها، وقودًا تنتفع به، فإنما وقود الجسم سكر الكلوكوز.

الإنسولين هرمون بروتيني، إذا مسّته إنزيمات الجسم الهاضمة أتلفته، وهو لذلك لا يُعطى بالفم في علاج المرضى

بالسكري، فتتلفه إنزيمات الجهاز الهضمي، وإنما هو يعطى حقنة في الدم مباشرة.

والإنسولين إذا دخل الى الدم، هبط بتركيز السكر فيه بعمليتين؛ أولاً بإعانة الخلايا على الانتفاع به بأكسدته (حرقه) وتكوين الطاقة منه. وثانيًا باختزان الفائض من السكر في الكبد على الصورة المعروفة باسم جليكوجن، و هو يُختزن هناك احتسابًا لحين الحاجة إليه، فإذا نقص السكر في الدم، أطلق الكبد من سكره هذا لكي تتزن الأمور.

أما مرض السكري فينشأ عن قلة ناتج الجسم من الإنسولين، لمرض ما أصاب الخلايا التي تصنع الأنسولين في البنكرياس، فتضعف، فيقل إنسولينها، فلا يحترق الكفاية من السكر في الخلايا، ويظل الفائض الذي لا يستطيع احتراقًا يتجول في الدورة الدموية.

وإذن يحدث أمران؛ السكر يتراكم في الدم بسبب نقص الإنسولين، وعدم استطاعة خلايا الجسم الانتفاع بالسكر في غيبة الإنسولين، وبتراكمه في الدم يبلغ درجة من التركيز تعجز عندها الكليتان على الاحتفاظ بكميته المتراكمة في الدم، فهو عندئذ يُفلت منها ويخرج منها الى البول، ويحدث هذا عادة إذا زاد مقدار السكر في الدم عن ١٨٠ ملي جرام في كل ١٠٠ سنتي متر من الدم.

والجسم إذا امتنع انتفاعه بالسكر لغياب الإنسولين، اتجه الى دهون الطعام يطلب منها الطاقة اللازمة للحياة، وهو لهذا يؤكسد الأحماض العضوية التي تدخل في تركيب الدهون، ولكنه لا يصل بهذه الأكسدة الى النهاية، فتنتج من هذه الأكسدة الناقصة مواد كيميائية تعرف بالكيتونات، إذا تُركت بلا رعاية طبية أدت بصاحبها الى الموت. هذا النوع من السكري يسمى النوع الأول، أما النوع الثاني فمختلف في آلية حدوثه تمامًا، ولا يحدث بسبب نقص الإنسولين، انما بمقاومة الجسم للإنسولين.

والعلاج؟ بالحصول على الأنسولين المصنّع كيميائيًا، وإعطائه للمريض حُقنًا، وبمقدار. فإن زدنا مقداره، احترق من السكر في الدم القدر الكثير، فيهبط السكر، ويصاب المريض بدوخة وإغماء، فمقدار الهرمون لا بد من ضبطه.

هذا بالنسبة للبنكرياس، ذلك العضو الذي يسيطر على أهم عمليتين في جسم الإنسان، هضم الطعام بالإفراز الخارجي ذو القنوات، وضبط الإنسولين بالإفرازات الداخلية الصماء.

الآن نمرّ على أهم الغدد الصم في الجسم:

الغدة الدرقية

وهي من أكبر غدد الجسم، وأكثرها ظهورًا، لأن موضعها الرقبة من أمام، على جانبي الحنجرة، وتحت الجلد مباشرة. وهي تتألف من فصين، يمين ويسار، يصل بينهما برزخ، وهي من اجل ذلك أسرع الغدد الصماء الى الظهور عندما تتضخم بسبب مرض يعتريها.

وهذه الغدة هي من حيث التاريخ أول غدة عُرفت بأنها غدة هرمونية، وقد كان أول ما لفت النظر إليها أن سكان جبال الألب كانت تصيبهم في الحلق أورام جامدة، وتشتد الحال بهم فتؤثر في نموهم وفي ذكائهم.

وبتقدم فن الجراحة، تجرأ أحد الأطباء السويسريين، هو الدكتور كوخر (Theodore Kocher) وأجرى لأحد المرضى عملية استأصل فيها الورم، ونجح، وإذ تبين له ذلك، راح يستأصل الغدة الدرقية نفسها، وتحسنت حالة الطفل مؤقتًا، ولكنه ما لبث أن عاد إليه عجز شامل في جسمه، وهنا تبين للعلماء أن هذه الغدة لها عمل خطير، وراحوا يبحثونها، ونشروا في سبيل ذلك ألف بحث وبحث.

الهرمون الدرقي يُنظّم تفاعلات كيميائية حيوية خاصة، وهي تتصل بالنمو، فالطعام على ما نعلم يصل بعد هضمه الى خلايا الجسم جميعها، وفيها تحدث به تفاعلات كثيرة، منها التأكسد بأوكسجين التنفس، ومن هذا الاحتراق البطيء تنتج طاقة الحياة.

وهرمون الدرقية يضبط كل هذا، والأكسدة خاصة، أو كما نسميها «الاحتراق»، لهذا لزم أن تفرز الغدة الدرقية من هذا الهرمون المقدار الذي يؤدي الى توازن هذه العمليات، فلا تزيد عما وجب، ولا تنقص عما وجب، وإلّا أصيب الجسم بالمرض.

والغدة الدرقية بها نسبة من اليود أعلى من نسبته في أي جزء من أجزاء الجسم، ونقص اليود في الغدة الدرقية هو السبب الأكبر في تضخمها، ويعالج هذا في المناطق التي يكثر فيها هذا المرض، بإضافة اليود الى ملح الطعام، أو يضاف الى ماء الشرب.

أن مرض هذه الغدة ثلاثة أنواع:

أولًا، تورم درقي بسيط :إن الغدة الدرقية تفرز هرمونين، أقواهما وأثبتهما يسمى ثايروكسين. وعمل الهرمونات

هنا هو ضبط التفاعلات الكيميائية الحيوية التي تجري في الجسم، فإن زاد مقدارها، ازدادت التفاعلات بسرعة، وإذا نقصت، تباطأت التفاعلات واختلت الحياة.

وهذا الهرمون، الثايروكسين، به من اليود مقدار كبير يصل الى نحو ثلثي وزنه. والإنسان منا يحصل على اليود في ملح طعامه، فإذا خلا الملح من اليود أو قل، كما حدث في أوربا بجبال الألب، لم يستطع الجسم أن يصنع هذا الهرمون، وإذن تختل تفاعلات الحياة بالجسم.

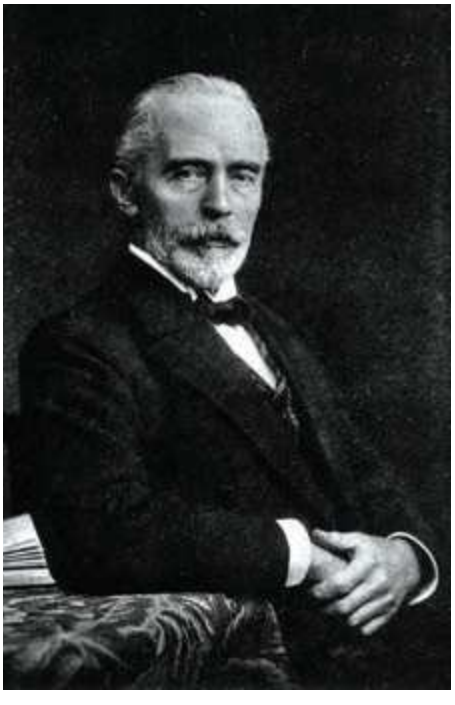

Dr. Theodore Kocher

ونتيجة لقلة اليود، فقلة الهرمون، تتضخم الغدة رجاء أن يكون في تضخمها ما يزيد في جملة الهرمون الحاصل، فهذا التضخم الذي يُقصد به التعويض عن نقص اليود يعرف بالتضخم الدرقي البسيط، وعلاجه إعطاء المرضى عنصر اليود في ملح الطعام.

ثانيًا قصور الغدة الدرقية، وهذا المرض ينتج عن الغدة نفسها، تكون لم تبلغ نموها الكامل، أو تكون تقلصت، وفي هذه الحالة يقل أو يمتنع إنتاج الهرمون. ونتيجة ذلك ينقص التأكسد في الجسم، ويضعف نشاط الجهاز العصبي، وهذا يورث العجز في الجسم والعقل، وعمل القلب يهبط كذلك، كما يتوقف نمو الأطفال، وكذلك يتعطل ذكاؤهم.

ثالثًا فرط الغدة الدرقية، وهذا ينتج كذلك عن الغدة، إذ تفرز من الهرمون أكثر مما يحتمل الجسم، فتتورم الغدة، ويزداد التأكسد بخلايا الجسم فيزداد الاحتراق، وهذا أشبه بزيادة احتراق الشمعة الذي يؤدي بها الى الفناء، فتضطرب الأعصاب، وينحف المريض، ويزداد تعرّقه، فيضطرب ويتعصب ويتوتر، كما تزداد ضربات قلبه، وتبرز عيناه أو تجحضان، ومن علاج هذا المرض الجراحة التي تستأصل بعض الغدة ليقل إفرازها.

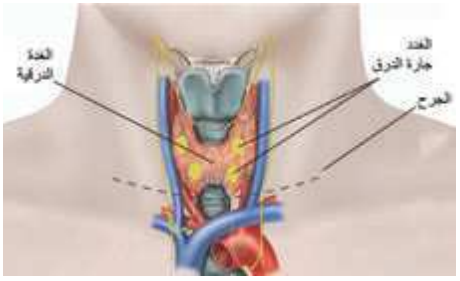

الغدد جار الدرقية

وهي أربع غدد، تظهر خلف الغدة الدرقية وكأنها دفينة فيها، وهرموناتها تتحكم في إنتاج عنصر الكالسيوم في الجسم، فهو يتحكم في نمو العظام، وفي تقلص العضلات وفي النشاط العصبي للجسم، ومقدار الكالسيوم اللازم للموازنة المطلوبة حاجة من حاجات الجسم الكبرى.

غدد ما فوق الكليتين

وهما غدتان، كل غدة منهما تستقر فوق كلية من الكليتين، وتعرف الغدة الواحدة منهما بالغدة الكظرية، وهذه الغدة تتألف من طبقة خارجية تعرف بالقشرة، وسائر الغدة التي تلفها القشرة تعرف بالحشوة، وهما مختلفتان. فأما القشرة فتصنع هرمونًا يعرف باسم كورتيزول، وهو لازم غاية اللزوم للجسم، لأنه يضبط وجوهًا معينة تتصل بالتفاعلات الكيميائية الحيوية التي تجري للمواد النشوية والسكرية والدهنية والبروتينية في الجسم، وله شأن في ميزان الملح والماء في الجسم، ووظائفه عديدة لا يتسع المقال لذكرها.

أما الحشوة فتصنع هرمونًا اسمه أدرينالين، وهذا الهرمون يُعرف بهرمون الأزمات، يُفرز في الأزمات التي تصيب الإنسان وعند الفزع، فإذا وقع أحد منا في أزمة، وأحاطه الخطر من كل جانب، وجب عليه الكفاح، وأعانه الجسم فهيأ له بهذا الهرمون كل مساعدة في ذلك.

فعندما يُطلق هذا الهرمون في الدم، بمقادير قليلة جدًا، يُجهز الجسم لمواجهة أي معضلة تقوم، ويُعدُّه للصراع، فضربات القلب تزيد عددًا، وتزيد قوة. ويُسحب الدم من الوجه، فيصفرّ، ومن سائر

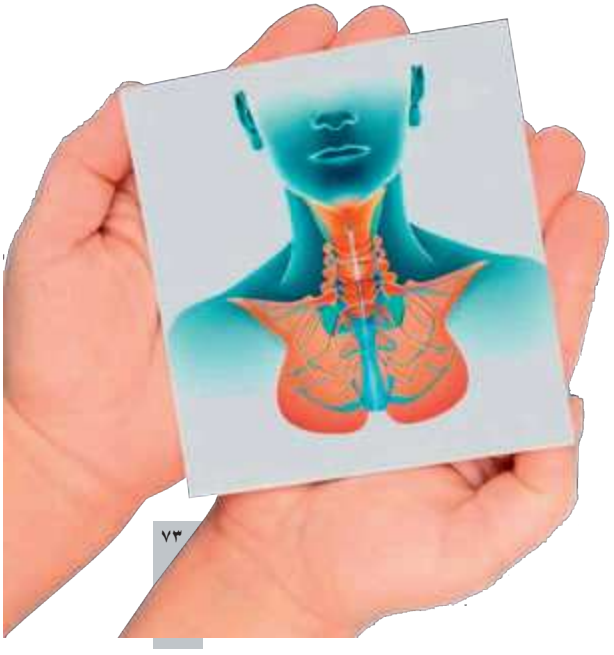

سطوح الجسم، حيث تتقلص الشرايين السطحية، وذلك حتى إذا أصاب الجسم جرحٌ، لم يفقد من دمه الكثير، وأيضًا لتوفير الدم للأعضاء الأهم، فأوعية الدم في العضلات تتسع، فيزداد مقدار الدم فيها لتكون في حالة تأهب، مستعدة للوثب، للهرب، للقتال، فوقودها جاهز. ويزداد الدم كذلك في المخ والقلب، وكل عضو يتصل بالكفاح. والرئتان تتسعان أكثر مما يفعلان، لاستقبال كميات أكبر من الأوكسجين، فقد دخل الجسم في وضع الإنذار. وتظل الغدة تزود الجسم بالهرمون ما دامت الحرب قائمة.

الغدد التناسلية

الجهاز التناسلي في الذكر والأنثى متعدد الأجزاء، ومن أهم هذه الأجزاء ذلك الجزء الذي ينتج الحيوانات المنوية في الذكر، وذلك الجزء الذي ينتج في الأنثى البويضات، وأعني الخصية والمبيض، وهما ينتجان الى جانب ما ذكرنا، الهرمونات التي بها يتم النسل، ويتم على الوجه الأمثل، فالخصية والمبيض إذن غدتان تعملان كذلك عمل الغدد الصماء، فينتجان الهرمونات، تلك التي نسميها بالجنسية، وهي هرمونات للأنثى وهرمونات للذكر.

فأما هرمونات الأنثى، فالمبيض يفرز هرمونين شهيرين، الأول يسمى الاستروجين، وله وظائف عدة؛ منها انه يعمل على نمو الأعضاء الجنسية نموًا طبيعيًا، وعلى إعطاء الأنثى مظاهر الأنوثة الثانوية كاستدارة الجسم، واتساع الحوض، وزيادة الدهن، وما يتصل بالشعر في أكثر من موضع. و من وظائفه إصلاح بطانة الرحم من الداخل من بعد حيض، وإعداد الرحم لتقبل بويضة أخرى، إذا هي جاءت.

الهرمون الثاني هو بروجستيرون، وهو الهرمون الأنثوي الأساسي، وتفرزه المبايض في النصف الثاني من الدورة الشهرية، ومن وظائفه تنمية جدران الرحم إكمالاً لما بدأه الاستروجين في النصف الأول من الدورة، وتحضيرًا لزرع البويضة المخصبة في هذه الجدران، ليبدأ الحمل.

هرمونات الذكر

وأسموها بالعربية منشطات الذكورة، والهرمون الأساسي فيها هو المعروف باسم Testosterone، وتفرزه خلايا خاصة في الخصية. والهرمونات الذكرية هي القائمة على تنمية الأعضاء الجنسية، وما يتصل بذلك من غدد، وهي تحدث الشهوة في الرجال.

وهي كذلك تقوم على تنشئة ما يتصل بصفات الرجل من صفات ثانوية، تتصل بالوجه والجسم عامة، وتتصل بالشعر،

ومن ذلك الشوارب، والصوت يخشن، وإذا أُزيلت الخصيتان عن الذكر من قبل بلوغ، اختفت فيه مظاهر الرجولة.

هرمونات الذكورة لها في الأجسام آثار هي عكس آثار الهرمونات الأنثوية، فالهرمون الذكري إذا استُخدم في التجارب لحقن الإناث، اظهر فيها صفات الذكورة واضعف الأنوثة، فإذا حُقنت هذه الإناث بالهرمون الأنثوي عادت إليها أنوثتها. وفي أجسام الذكور ما ينتج شيئًا من هرمونات الأنوثة، ومن أجسام الإناث ما ينتج شيئًا من هرمونات الذكورة، ويقوم الكثير بإضاعة أثر القليل، ومع هذا، فكثيرًا ما نجد نساء مترجلات، ورجالًا مستأنثين، فيهم الضُعف واللين.

الغدة النخامية

وهي غدة تقع في موقع القيادة من هذه الغدد الصم، إذ توجد في أوسط الرأس، وهي مرتبطة بقاع المخ، وبالرغم من أنها الأصغر فيها، إذ لا يزيد وزنها عن نصف غرام فقط، فإفرازاتها متخصصة في التحكم في نشاط الغدد الصم الأخرى، لتحفظ التوازن فيما بينها، فسميت لذلك بالغدة الأم، حيث تقوم على رقابة غدد الجسم الصم الأخرى كما يقوم رئيس العمال في المصنع على شتى طوائف العمال به.

فهي تراقب الغدد الأخرى، وتستشعر نقص الهرمونات، فإذا وجدت أن هرمونًا قل تركيزه، أرسلت إشارات هرمونية الى غدة ذلك الهرمون، أن افرزي بهرمونكِ فقد قل مستواه. وحين يصل ذلك الهرمون الى المستوى المطلوب في الدم، يعود ليطرق أبواب النخامية برسالة واضحة: «لقد أدينا المهمة». فتتلقى الغدة الإشارة، فتوقف أو تقلل من إرسال أوامرها، فيتراجع الإفراز، وتستقر الأمور.

إلى جانب ما ذكرنا من تنسيق، تفرز الغدة النخامية هرمونات أخرى كالهرمون المدر للحليب، كذلك تفرز هرمون الميلانين الملون للجلد، وهرمون النمو.

أما هرمون النمو، فيؤثر في نمو الجسم، ويتحكم في نمو الهيكل العظمي، ومن شأن هذا الهرمون انه إذا اختل إنتاجه فزاد مقداره عن المقدار المألوف في سنوات نمو الجسم، كبر هيكله، وأعطانا رجلًا عملاقًا، وقد رأينا رجالًا بلغوا من الطول مترين ونصف. أما إذا زاد مقدار الهرمون الناتج، والرجل بالغ، فيظهر اثر ذلك في ضخامة عظام الوجه وضخامة اليدين والقدمين وضخامة الفك والأنف وغير ذلك. وإذا هبط مقدار هذا الهرمون نتج عن ذلك رجل قزم، أو بالطبع امرأة قزمة، ولكن أعضاءه متناسبة فيما بينها من أحجام صغيرة، ولا يفقد القزم شيئًا من فطنته الطبيعية على خلاف ما يحدث للعمالقة النخاميين.

تبقّى هرمونان لهذه الغدة، أحدهما خاص بانقباض الرحم للمرأة بعد الولادة، والثاني يتحكم في طرح البول، يقلله عندما يرى أن الجسم يحتاج الى سوائل، فإذا نقص هذا الهرمون، أدى الى مرض يدعى السكري الكاذب، نظرًا لإفراط المريض في التبول.

ولقد كان في هذا الذي ذكرنا كفاية لإيضاح ما هدفنا إليه من كشف ما في جسم الإنسان من خلق، وتركنا غددًا أخرى وهرمونات أخرى للإيجاز، فلسنا في صدد درس وظائف أعضاء الجسم، وإنما نحن في ضرب أمثال لما في هذا الجسم من نظم تفوق أي نظم عرفناها.

إبداعٌ في إدارة هذا الجسم عجيب، وفهمٌ يقوم به من المواد ما لا يفهم، ولكنه يقوم به لغاية، وغايةٌ لا بد منها، وغايةٌ كالغاية الواعية وما فيها من وعي. موادٌ لا وعي بها، ولكن هناك وعي، وهناك هدف، وهناك غاية. كلُ ظاهرة بالجسم، مهما كانت بسيطة، تجد لها هرمونًا يقوم بتولي كل ما تضمنها من عمليات ومن خطوات، وجب أن لا يسبق منها ما وجب أن يتأخر، ووجب أن لا يتأخر منها ما وجب أن يتقدم، تقوم ببدء كل خطوة وبختامها، في توقيت رائع.

كل هذا الوعي العاقل المدبر إنما اختفى وراء ما نرى من عمليات هضم وعمليات إفراز، وعمليةُ حياة تتضمن ألف عملية، تزيد الملاحقة تعقيدًا، وتزيد التوقيت صعوبة، لو أن إنسانًا كان قيمًا عليها، ولو أننا كنا قيِّمين عليها، إذن لفسدت، ومن اجل هذا قامت الحياة بديلًا عنا بوعي أيقظ، وبفكر افهم، وبدقة أحدّ، وبإدراكٍ لمعنى الزمانً أعمقُ واشملً.

الحلقة الأولى

من تاريخ الدولة القاچارية

بقلم باسم الساعدي

نتعرض -في هذه العجالة- لتاريخ دولة بني قاجار، تلك الدولة التي قامت على أطلال الدولة الزندية، ذاكرين أصل القاجاريين، وقيام دولتهم وأهم الأحداث فيها، مع مراعاة الإيجاز غير المخل -إن شاء الله تعالى-، أما الفتن الكبيرة مثل احتلال الروس لإقليم خرسان، وحربهم مع بني عثمان، وفتوى تحريم التنباك، فسنكتفي بالإيجاز لعل الوقت يسمح مستقبلا -بحول الله سبحانه وألطاف آل البيت صلوات الله عليهم- فنكتب عنها بصورة مستقلة فيها ما يسد ظمأ محبي التاريخ.

أصل بني قاجار

بنو قاجار نسبة لجدهم الأعلى قاجار بن سرتاق نويان بن سابا نويان، ونويان تعني قائد الجيش أو أميره، وهم بطن من بطون عشيرة جلائر التركية، التي كانت تحكم المناطق ما بين نهر جيحون والري، وسنذكر هنا اسماء ومناصب أهم وجهاء أو زعماء الأسرة الجلائرية؛ لمعرفة أصالة العائلة.

في العهد المغولي

كان الجلائريون في زمن جنكيز خان، أو قبله، يلقبون بـ(كوبانك)، ويعني الحاكم الكبير أو الملك، ولهم الميسرة في جيش جنكيز خان (طوفان

القيامة)، وقد اشتهروا بفتح القلاع، وقهر الأسود، وتحطيم الاعداء، حتى عرفوا بتلك الخصال العسكرية، وكان كبيرهم في عهد جنكيز خان (موقلى كويانك) ثم ورث الزعامة ابنه (بوغول كويانك) في عهد (أوكتاي قاآن)، وكان معروفا بالشهامة. ومن الجلائريين: الأمير الكبير (هتون نويان)، و(أبلوكه بن بروك قدان) الحائز على فرمان جنكيز خان بتنصيبه (أتابيك) لـ(أوكتاي قاآن) وجيشه الجرار، الذي يصفونه بأن لا نهاية له، و(الأتابيك) تعني معلم ومربي، وهي مرتبة اجتماعية وسياسية وعسكرية كبيرة جدا في ذلك الوقت، ومنهم: (منكسار نويان) الذي كان في عهد (منكو قاآن) كبير المحكمين (بزرك يارغوتشيان) ويعني أنه أمير الديون، ومستجوب المذنبين.

ومنهم: الشيخ حسن نويان وابنه السلطان أويس اللذان حكما في إيران بعد انقضاء الدولة المغولية فيها.

أما (سابا نويان) وابنه (سرتاق نويان)، جد قاجار وأبوه، فالأول كان في زمن جنكيز خان محرم أسرار[1] وموضع نظر اعتبار الملك مسخر العالم القهار، وهو الذي كلف باسترداد زوجة جنكيز خان أم جوجى من أونك خان، بعد أن استودعت عنده في بعض المعارك، والثاني: كان أمير الأمراء في خرسان ومازندران، فقد كان (أتابيك أرغوان خان) وكان يحكم مملكة عشيرته من جيحون إلى الري، وملكه الخاص به من (قزل اغاج مغان) إلى حدود (نيسابور)، ومحل إقامته في (جرجان) وكثرت ذريته فيها وفي (مازندران)، وكان (قاجار) من خاصة (تومان نايجو) والمقربين له، من ثم انتشرت ذرية قاجار في مازندران واستراباد وخرسان كما سنعرف قريبا[2].

في العهد الصفوي

لم يختلف حال القاجاريين الذين هم من أمراء الجلائريين في عهد دولة السادة الصفويين عما كانوا عليه في العهد المغولي، فهم ممن ساعد في تشييد أركان مملكة السادة الصفويين، وكانوا يفتخرون بأنهم قادة الجيوش وحكام الحدود، ففي زمن الشاه عباس الصفوي رحل جماعة منهم وكلفهم بضبط الحدود، فأرسل مجموعة منهم

١- لعلها تعني حافظ الأسرار.

٢-المآثر السلطانية أو تاريخ ايراني وحروبها مع روسيا: ٣٢.

إلى مرو لمواجهة الأزبك، وأخرى إلى كنجة وإيروان، وثالثة إلى إستراباد لمواجهة الترك.

عهد فتح علي خان الأول[٣]

كان التركمان والأكراد من أعداء الدولة الصفوية، وممن يثير الشغب في ربوعها، وقد كُلف الخاقان فتح علي خان برد غائلتهم، وكان محمد خان التركماني ووزيره ميرزا أحمد في قلعة (مبارك آباد) فقصده فتح علي خان بمجموعة من (يموت)، وكانت له معرفة وطيدة بقائد الحرس (أصلمس بك قاجار) المكلف بحراسة إحدى بوابات القلعة، فأدخله منها، وقتل محمد خان ووزيره، وكان هذا النصر بادرة علو وشيوع أمره، وهو الذي جعله حاكما على (إستراباد)، وفي تلك الفترة كان الكردي (جهان بيكلو) المشهور باسم (شكر بك) قد طغى في (فندرسك ورامیان) وتجاوز الحدود، وكان موغلا بدماء الأشراف، فقصد وجهاء وأمراء القاجارين فتح علي خان وطلبوا

منه أن يكون أميرا عليهم، فقبل بعد ممانعة، وحارب شكر الكردي وانتصر عليه، بيد أن الأمر لم يتم له، فقد تمرد عليه بعض الوجهاء، إلا أنه تغلب عليهم، من ثم توجه لتشييد قواعد ملكه في (استراباد)[٤].

٣- قيدنا اسم الخاقان فتح علي خان بالأول تميزا عن حفيده الشاه فتح علي ثاني ملوك الدولة القاجارية، الذي سيأتي بحول الله تعالى ذكر أحواله في الحلقة الثانية من سلسلتنا هذه.

٤- المآثر السلطانية أو تاريخ ايراني وحروبها مع روسيا: ٣٢.

في عهد الشاه حسين الصفوي

سيطر بعض العملاء والمتخاذلين، ممن لا يوافقون الصفويين المذهب، على البلاط الملكي الصفوي في عهد الشاه حسين، واستطاعوا التأثير على قراره، وقد سهلوا على الافغان بقيادة محمود الافغاني الهجوم على إيران ومحاصرة اصفهان في سنة ١١٣٣، وكان الخاقان فتح علي مواليا للصفويين مخلصا لهم، فقصد بألف مقاتل من شجعان القاجارين أصفهان، وخاض المعارك مع الافغان حتى صار يقود كل يوم المعارك، ويرسل الغنائم الكثيرة لشاه حسين، بيد أن الخونة من أمثال والي عربستان (خان اهواز) حالوا دون استمرار الانتصارات، فقد جعلوا الشاه يعزل القائد المغوار أحمد أغا بعد انتصاراته الكبيرة على الأفغان، حتى وجدوه ميتا في فراشه وقالوا انه تناول السم بسبب موقف الشاه منه، وقبل ذلك سمل عيني وزيره لتصديقه وشاية بعض رجال بلاطه، من ثم بان له اخلاصه فتندم، وقد تأثر الشاه بالخونة من رجال مملكته ووقعت المنافرة بينه وبين فتح علي خان، فاعتزل الاخير الحرب وانسحب إلى دياره[٥].

في عهد الشاه طهماسب

لم يترك الخاقان فتح علي خان حرب الافغان، بل خاض معارك معهم، منها معركة في (ابراهيم آباد) و(ورامين)، وذلك في سنة ١١٣٧، وقد وصله خبر ذهاب الشاه طهماسب إلى مازندران، وهذا الشاه هو ابن الشاه حسين وقد خرج من اصفهان بأمر أبيه كي يحشد المعونة لفك حصار اصفهان، فحرك الخاقان جيشه من (إبراهيم آباد) إلى الشاه طهماسب؛ كي يدخل في خدمته، فإن ما كان بينه وبين الشاه حسين لم يغير ولاءه واخلاصه للصفويين، بيد أن الوشاة هم الوشاة في كل بلاط، فقد أوقعوا الفتنة مرة أخرى بين الخاقان والشاه، فغير الخاقان طريقه إلى (إسترابـاد)، من ثم وقعت حرب بينهما في مدينة (أشرف) بـ(مازندران)، كان فيها النصر لفتح علي خان، ووقع الشاه طهماسب اسيرا بيد الخاقان، الذي بادر وأظهر حبه واخلاصه للصفويين، فقد تقدم بمراسم التعظيم والتكريم للشاه، وحمله إلى (إسترابـاد)، من ثم توجه تحت لوائه إلى خرسان، فحرروا الديار المقدسة.

٥- لمعرفة التفاصيل غزو الافغان وخيانة الخونة وما جرى من فضائع في حصار اصفهان وبعد احتلالها راجع: تاريخ إيران: ١٧٤، والمآثر السلطانية: ٣٦، وتاريخ إيران وتاريخ الافغان: ١٢٠، وتاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٣: ٣٨٧.

في زمن الدولة الإفشارية

من ثم علا شأن نادر شاه بسبب انتصاراته المتتالية، وصارت له الكلمة في البلاط الصفوي، فابعد الخاقان فتح علي خان من الساحة نهائيا، وذلك في ١٠ صفر ١١٣٩، من ثم اغتيل الخاقان فتح علي خان.

وقد ترك ابنه محمد حسن خان خليفة له، وهذا الابن قد نشأ بين التركمان وبين أهل (إستراباد)، فهو مرة في تلك المنطقة ومرة بين اولئك القوم، حتى وقعت فتنة بينه وبين محمد زمان بك ابن محمد حسين خان قراموسالو، فالتجأ محمد حسن خان إلى التركمان، وجهز جيشًا منهم ومن الاتراك وهاجم (استراباد) ففر منها محمد زمان بك، واستولى محمد حسن عليها، ثم توجه بهبود خان حاكم (استراباد) و(ومازندران) من قبل نادر رشاه الافشاري فوقعت معركة بينهما على نهر (جرجان) انهزم بها محمد حسن خان والتجأ إلى صحراء التركمان، ثم استغل محمد حسن خان انشغال نادر شاه بحرب الاتراك فهاجم (استراباد) فاخذها، وجعلها مقر حكمه، ثم أخضع (جيلان) و(مازندران)، واستمر حكمه بازدياد حتى ظهور الدولة الزندية[٦].

٦- المآثر السلطانية: ٣٨.

الحلقة الثانية

مفاهيم قرآنيّة

الشيخ علي الغزي

لازال الكلام عن متابعة مفردة الأب في القرآن الكريم، وبيان دلالاتها في سياق العلاقات التي وردت فيها، وتقدّم الحديث عن بعضها في العدد السابق، ونتمّ الحديث عن بعض آخر منها في هذا العدد إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: إنكار المعاد

من الأمور العقديّة التي كانت بابًا للجدل بين غير المؤمنين والأنبياء هو الاعتقاد بالمعاد واليوم الآخر، وقد استعمل غير المؤمنين دعاوى وحجّجًا في ردّه، منها توظيف حال آبائهم وأسلافهم، وقد استعملوا ذلك في ثلاث صور:

الصورة الأولى: التعجُّب من كون هناك يوم معاد يرجع فيه آباؤهم أحياءً من جديد، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَقالَ الَّذينَ كَفَروا أَإِذا كُنّا تُرابًا وَآباؤُنا أَئِنّا لَمُخرَجونَ﴾[1].

وقال: ﴿أَإِذا متنا وَكُنّا تُرابًا وَعِظامًا أَإِنّا لَمَبعوثونَ، أَوَآباؤُنَا الأَوَّلونَ﴾[2].

الصورة الثانية: المطالبة بإرجاع آبائهم وأسلافهم لو كان يوم المعاد حقًّا، كما في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَقالوا ما هِيَ إِلّا حَياتُنَا الدُّنيا نَموتُ وَنَحيا وَما يُهلِكُنا إِلَّا الدَّهرُ، وَما لَهُم بِذلِكَ مِن علم إِن هُم إِلّا يَظُنّونَ، وَإِذا تُتلى عَلَيهِم آياتُنا بَيِّنات ما كانَ حُجَّتَهُم إِلّا أَن قالُوا ائتوا بِآبائِنا إِن كُنتُم صادِقينَ﴾[3].

وقوله: ﴿إِن هِيَ إِلّا مَوتَتُنَا الأولى وَما نَحنُ بِمُنشَرينَ، فَأتوا بِآبائِنا إِن كُنتُم صادِقينَ﴾[4].

الصورة الثالثة: بيان أنّ دعوى البعث والمعاد دعوى قديمة إلى حدٍّ أنّه قد وعد بها آباؤهم من قبل، ولم يروا أيّ أثر لها، قال

١ - سورة النمل: آية ٦٧.

٢ - سورة الصافات: آية ١٦-١٧؛ وآية ٤٧-٤٨ من سورة الواقعة.

٣ - سورة الجاثية: آية ٢٤-٢٥.

٤ - سورة الدخان: آية ٣٥-٣٦.

-عزَّ وجلَّ-: ﴿لَقَد وُعِدنا نَحنُ وَآباؤُنا هذا مِن قَبلُ إِن هذا إِلّا أَساطيرُ الأَوَّلينَ﴾[٥].

وفي هذه الآية اعتراف بكذبهم السابق في عدم سماع دعوة الأنبياء في آبائهم الأوّلين حيث يُقرّون هنا بأنّه قد وعدَ آباؤهم من قِبل الأنبياء بالمعاد والبعث والخروج.

كما بيّنت الآية الأولى في الصورة الثانية أنّ دعواهم هذه ليست إلّا ظنًّا ووهمًا، ولا علم لهم بما جرى على آبائهم وأسلافهم بعد موتهم.

والمراد من (الآباء) كما تقدّم الأسلاف الماضون، لا خصوص الآباء الحقيقيّين.

الأمر الرابع: الدعوة إلى الله

من المظاهر الجليّة التي يجدها من يرصد حركة دعوى الأنبياء إلى الله تعالى والإيمان به أنّ مجتمعاتهم تتمسّك بما عليه أسلافهم من اعتقادات باطلة، بحيث يجعلون ما يُخالفها باطلًا، ولعلّه من هنا وجدنا أنّ الأنبياء استثمروا ذلك في دفع مجتمعاتهم للإيمان بدعوتهم ببيان أنّ الله -عزَّ وجلَّ- هو ربّهم وربّ آبائهم.

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في دعوى ثلاثة من الأنبياء:

الأوّل: النبيّ موسى -عليه السلام- وجاء ذلك في سياق حديثه مع فرعون وحاشيته ﴿قالَ فِرعَونُ وَما رَبُّ العالَمينَ، قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَينَهُما إِن كُنتُم موقِنينَ، قالَ لِمَن حَولَهُ أَلا تَستَمِعونَ، قالَ رَبُّكُم وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلينَ﴾[٦].

الثاني: النبيّ إلياس -عليه السلام- في استنكاره على قومه عدم إيمانهم بالله -عزَّ وجلَّ- حيث قال: ﴿وَإِنَّ إِلياسَ لَمِنَ المُرسَلينَ، إِذ قالَ لِقَومِهِ أَلا تَتَّقونَ، أَتَدعونَ بَعلًا وَتَذَرونَ أَحسَنَ الخالِقينَ، اللهَ رَبَّكُم وَرَبَّ آبائِكُمُ الأَوَّلينَ﴾[٧].

الثالث: النبيّ الأكرم -صلّى الله عليه وآله- في سياق حديث القرآن عن الله -عزَّ وجلَّ- والتعريف به، فقال: ﴿لا إِلهَ إِلّا هُوَ يُحيي وَيُميتُ رَبُّكُم وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلينَ﴾[٨].

الأمر الخامس: الولاء والحب

ممّا ينشأ ويتربى عليه الإنسان حبّه وولاؤه لآبائه وأخوانه وعشريته، بل كلّما تقدّم به الزمن كان أكثر تعلُّقًا بهم وبمنهجهم الاجتماعيّ، ومن الطبيعيّ أن يقع تصادم بين الدعوى الله -عزَّ وجلَّ- ودينه الحنيف ومقتضيات الولاء للآباء والعشيرة.

وهنا كان موقف القرآن الكريم واضحًا بضرورة كون الولاء لله -عزَّ وجلَّ- وأنّه

٥ - سورة المؤمنون: آية ٨٣؛ وآية ٦٨ من سورة النمل.

٦ - سورة الشعراء: آية ٢٣-٢٦.

٧ - سورة الصافات: آية ١٢٣-١٢٦.

٨ - سورة الدخان: آية ٨.

مقدّم على كلّ الولاءات الآخرى بما فيها الولاء للآباء في حال اقتضى الولاء لغيره مخالفة الاعتقاد به أو مخالفة تعاليمه، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك بثلاث صور:

الأولى: النهي عن ولاء الآباء وغيرهم في حال كانوا لا يعتقدون بالله -عزَّ وجلَّ- فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخذوا آباءَكُم وَإِخوانَكُم أَولياءَ إِنِ استَحَبُّوا الكُفرَ عَلَى الإيمانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَأُولئكَ هُمُ الظّالمونَ﴾[9]. وهذا الخطاب ظاهرًا جدًا في حرمة موالاتهم إلى حدّ أنّها توجب اتّصاف الموالي لهم والحال هذه بـ(الظالم).

الثانية: الوعيد على موالاة الآباء المفضية إلى تقديمهم على الله -عزَّ وجلَّ- وتعاليمه فقال: ﴿قُل إِن كانَ آباؤُكُم وَأَبناؤُكُم وَإِخوانُكُم وَأَزواجُكُم وَعَشيرَتُكُم وَأَموالٌ اقتَرَفتُموها وَتِجارَةٌ تَخشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرضَونَها أَحَبَّ إِلَيكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسولِه وَجِهادٍ في سَبيلِه فَتَرَبَّصوا حَتّى يَأتِيَ اللَه بِأَمرِه والله لا يَهدي القَومَ الفاسقينَ﴾[10]. ولم تكتف الآية بالوعيد، بل بيّنت اتّصاف من كانت هذه صفته بـ(الفسق).

الثالثة: نفي صفة الإيمان عمّن يُقدّم الولاء للآباء على الولاء لله -عزَّ وجلَّ-، وإثباتها لمن يُقدّم الولاء لله -عزَّ وجلَّ- على الولاء للآباء، فقال: ﴿لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَلَو كانوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنهُ وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ أُولئكَ حِزبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحونَ﴾[11]. بل شجَّعت على تقديم الولاء لله -عزَّ وجلَّ- ببيان اتّصاف أصحابه بالصفات الآتية:

أوّلًا: أنّ من يُقدّم الولاء لله -عزَّ وجلَّ- يكون ممّن كتب في قلوبهم.

ثانيًا: أنّه ممّن أيّده الله -عزَّ وجلَّ- بروح منه حتّى تمكّن من الاستمرار في ذلك.

ثالثًا: أنّهم ممّن يدخل الجنّة التي تجري من تحتها الأنهار.

رابعًا: أنّ دخلوهم لها دخول خلود.

خامسًا: تبادل الرضا بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ.

سادسًا: أنّ ولاءهم لله -عزَّ وجلَّ- يدخلهم في حزبه.

سابعًا: أنّهم من المفلحين.

فالولاء لله تعالى يجعل من الإنسان متّصفًا بالإيمان ورضا الله عنه وتأييده

٩ – سورة التوبة: آية ٢٣.

١٠ – سورة التوبة: آية ٢٤.

١١ – سورة المجادلة: آية ٢٢.

وكونه من حزبه ومن المفلحين، بينما الولاء لغيره -كالولاء للآباء- يجعله متّصفًا بالظلم، والفسق، والوعيد من الله تعالى.

ثمّ هل كتابة الإيمان والتأييد من الله لمن قدّم ولاءه لله على الولاء لغيره سابق على التقديم أم متأخّر عنه؟

قد يُقال: إنّ الظاهر من صيغ الفعل الماضي في (كتب) أنّه متقدّم بحيث كان هو السبب في ترجيحهم للولاء لله على الولاء لغيره.

ولكن التأمّل في الآية الكريمة يُعطي أنّه متأخّر عنه وأثر من آثاره، ببيان أنّ كتابة الإيمان في قلوبهم وتثبيته فيها كانت نتيجة لتقديمهم الولاء له -عزَّ وجلَّ- على الولاء لغيره؛ ويشهد بذلك ما ترتّب عليه من الثواب بالجنّة لهم، والوعيد لغيرهم، وهما لا يترتّبان إلّا على الأفعال الاختياريّة، فترجيحهم للولاء لله تعالى كان بمحض اختيارهم، وليس بسبق كتابة الإيمان في قلوبهم وتأييدهم، ولذا ترتّب عليه تلك الآثار العظيمة، ويشهد لذلك قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَآمنوا برَسوله يُؤتكُم كفلَين من رَحمَته وَيَجعَل لَكُم نورًا تَمشونَ بهِ وَيَغفر لَكُم والله غَفورٌ رَحيمٌ﴾[12]، لصراحته في كون النور مجعولًا منه -عزَّ وجلَّ- أثرًا وجزاءً لإيمانهم وتقواهم[13].

ولعلّ الوجه في استعماله -عزَّ وجلَّ- لصيغة الفعل الماضي في الفعل (كتب) للدلالة على كونه أثرًا سابقًا ومتحقّقًا لهم في دار الدنيا، ويشهد له أنّه عبّر عن مقابله -وهو دخول الجنّة- بصيغة الفعل المضارع، فقال: ﴿وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ﴾، باعتباره أثرًا مستقبليًّا لهم.

ثمّ أنّ الولاء لله -عزَّ وجلَّ- ليس فقط يجب أن يكون مقدَّمًا على الولاء لغيره في حال اختلفا، بل يجب في حال توافقَ الولاءان أن يكون الولاء لله -عزَّ وجلَّ- أشدّ من الولاء لغيره؛ لقوله -عزَّ وجلَّ: ﴿فَإذا قَضَيتُم مَناسكَكُم فَاذكُرُوا الله كَذكرِكُم آباءَكُم أَو أَشَدَّ ذكرًا فَمنَ النّاس مَن يَقولُ رَبَّنا آتنا في الدُّنيا وَما لَهُ في الآخرَة من خَلاقٍ﴾[14]، بحيث -مثلًا- يكون هو الدافع نحو العمل، وليس الولاء لغيره وإن كان يدفع نحو نفس العمل، فليُلاحظ.

الأمر السادس: أثر صلاح الأبوين على الذرية

من الأمور التي يُدركها بنو البشر بفطرتهم أنّ سلوك الآباء يؤثر على الأبناء سلبًا وإيجابًا، فصلاح الآباء ينعكس عليهم، كما أنّ فسادهم كذلك، ولذا نجد هذا المعنى ورد في سورة مريم كأمرٍ

١٢ - سورة الحديد: آية ٢٨.

١٣ - يُلاحظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل: ج١٨، ص١٥٣.

١٤ - سورة البقرة: آية ٢٠٠.

مفروغ منه، عند الحديث القوم معها حينما جاءت تحمل عيسى -عليه السلام-، فقالوا: ﴿يا أُختَ هارونَ ما كانَ أَبوكِ امرَأَ سَوءٍ وَما كانَت أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[١٥]، فما رأوه من حمل مريم لصبيّها -عليهما السلام- ولم يجدوا تفسيرًا ظاهرًا إلّا ارتكاب الفاحشة، وأدركوا أنّ إرتكابها لذلك ليس مبرّرًا، فأبوها وأمّها كانا شخصين صالحين، ولذا استنكروا عليها ما وجوده مخالفًا لفطرتهم من سلوكها ظاهرًا سلوكًا ينافي صلاح الأبوين، ولم يستنكر عليهم القرآن الكريم ذلك، بل الملاحظ أنّ الخروج منه لم يكن ممكنًا إلّا بأمر إعجازيّ، حيث أشارت إليه، وأنّ هذا الصبيّ حديث الولادة هو من يُجيبكم عمّا ترونه بظاهره مخالفًا لفطرتكم وصلاح أبويّ.

بل الملاحظ أنّ القرآن الكريم أخذ صلاح الأبوين أو أحدهما سببًا في انعكاسه على الموقف من الأبناء، وهو ما نجده في قصّة موسى والخضر -عليهما السلام-، وفي موردين:

الأوّل: قتل الغلام، فقد كان إيمان الأبوين والخشية عليهما ممّا سيلحقهما[١٦] من ابنهما لو استمرّ في الحياة سببًا في سلبها منه، فقال الخضر في بيان ذلك لموسى -عليهما السلام-: ﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤمِنَينِ فَخَشينا أَن يُرهِقَهُما طُغيانًا وَكُفرًا﴾[١٧].

والملاحظ هنا أنّ صلاح الأبوين كان له انعكاسٌ سلبيٌّ على الابن حيث أدّى إلى سلبه الحياة، ولذا ينبغي أن نحذر ممّا قد نسبِّبه من أذى للأبوين الصالحين، وأنّه أمر بالغ الخطورة إلى حدّ إيجابه سلب الحياة.

الثاني: بناء الجدار، فقد كان صلاح الأب سببًا في أن يُقيم الخضر -عليه السلام- الجدار من أجل أن يبقى كنز الغلامين محفوظًا حتّى يبلغا ويستخرجاه، وذلك ممّا بينه لموسى -عليهما السلام- في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَينِ يَتيمَينِ في المَدينَةِ وَكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحًا فَأَرادَ رَبُّكَ أَن يَبلُغا أَشُدَّهُما وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمَةً مِن رَبِّكَ وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري ذلِكَ تَأويلُ ما لَم تَسطِع عَلَيهِ صَبرًا﴾[١٨].

---

١٥ – سورة مريم: آية ٢٨.

١٦ – على خلاف بين المفسّرين في بيان ذلك، فمنهم من يرى أنّه لو بقي في الحياة لكان سببًا في كفرهما، ومنهم من يقول: بل كان سببًا في أذيتهما بسبب كفره وشفقتهما عليه. يُلاحظ: الأمثل في تفسير كتاب المنزّل: ج٩، ص٣٢٩.

١٧ – سورة الكهف: آية ٨٠.

١٨ – سورة الكهف: آية ٨٢.

ولعلّ النصّ يُعطي دلالةً واضحةً أنّه ما دام أبناء أهل الصلاح دون سنّ البلوغ فهم يتمتعون بحماية وحصانة وحفظ من الله -عزَّ وجلَّ- بصلاح أبويهما أو أحدهما.

وفي ذلك تشجيع في غاية الأهميّة على اتّخاذ الصلاح منهجًا، فمن يعرف أنّ صلاحه لا يكون أثره منحصرًا به فقط، بل ينعكس على ذريته يكون أكثر رغبة فيه، وشوقًا للتلبُّس به، خصوصًا مع ما هو مروي من أنّ الأب الصالح المذكور في الآية لم يكن أباهما المباشر، بل كان من أجدادهما البعيدين -وأنّه الجدّ السابع لهما[١٩]، بل السبعين في بعضها[٢٠]- ممّا يعني امتداد أثر الصلاح إلى ذرية الذرية.

وقد أكّد هذا المعنى ما روي عن «إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله -عليه السلام- يقول: إنّ الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله، ثمّ ذكر الغلامين فقال: وكان أبوهما صالحًا، ألم تر أنّ الله شكر صلاح أبويهما لهما»[٢١].

١٩ - التبيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٨٣.
٢٠ - علل الشرائع: ج١، ص٦٢.
٢١ - تفسير العياشيّ: ج٢، ص٣٣٧، ح٦٣.

وعن «مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه -عليهم السلام-: أنّ النبيّ -صلى الله عليه وآله- قال: إنّ الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته في أهله وماله، وإن كان أهله أهل سوء[٢٢]. ثمّ قرأ[٢٣] هذه الآية إلى آخرها: وكان أبوهما صالحا»[٢٤].

ثمّ ليُلتفت إلى أنّ حفظ الذرية ببركة صلاح الآباء لم يكن جزاءً حتميًا لصلاحهم، بحيث لو لم يترتّب لأخلّ بعدل الله -عزَّ وجلَّ-؛ فإنّ الأصل في أثر الفعل الصالح أن ينعكس على فاعله المباشر، وأمّا امتداده إلى غيره فليس ذاك إلّا رحمةً وفضلًا من الله -عزَّ وجلَّ- وهو ما يدلّ عليه قوله -عزَّ وجلَّ- في هذه الآية: ﴿وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمَةً مِن رَبِّكَ﴾.

٢٢ - لا يبعُد أنّ تكون جملة (وإن كان أهله أهل سوء) من إضافة بعض الرواة استفادةً من إطلاق كلام النبيّ -صلّى الله عليه وآله-، والوجه في ذلك أنّها مخالفة لمفاد الآية هنا، فهي ظاهرة بامتداد الحفظ إلى حين بلوغهما، وأمّا بعده فالحفظ مربوط بفعلهما ومسؤوليتهما عن ذلك بعد دخولهم دائرة التكليف، واتّصاف الأهل بالسوء إنّما يصحّ بعد البلوغ والتكليف، فلا يشملهما الحفظ، اللهم إلّا أن تكون الغاية (بلوغ أشدّهما) غاية لإقامة الجدار، وليس لأثر صالح الأب. مضافًا إلى أنّ الشمول لمطلق الأهل أوفق بالرحمة. فليُلاحظ.
٢٣ - فاعل (قرأ) يُحتمل فيه النبيّ، كما يُحتمل فيه الإمام الصادق صلوات الله عليهما.
٢٤ - تفسير العياشيّ: ج٢، ص٣٣٩، ح٦٨.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال:

هل يجوز التبرّع بالعضو من الحي للحي كما في الكلية، ومن الميّت للحي بالوصيّة، سواء من المسلم للكافر أم العكس؟ وهل تختلف الأعضاء في هذه المسألة عن بعضها البعض؟

الجواب:

أمّا تبرّع الحي ببعض أجزاء جسمه لإلحاقه ببدن غيره فلا بأس به إذا لم يكن يلحق به ضرراً بليغاً، كما في التبرّع بالكلية لمن لديه كلية أخرى سليمة.

وأمّا قطع عضو من الميّت بوصيّة منه لإلحاقه ببدن الحي فلا بأس به إذا لم يكن الميّت مسلماً أو من بحكمه أو كان ممّا يتوقف عليه إنقاذ حياة مسلم، وأمّا في غير هاتين الصورتين ففي نفوذ الوصيّة وجواز القطع إشكال، ولكن لا تثبت الدية على المباشر للقطع مع الوصية على كلّ تقدير.

السؤال:

ما حكم التبرّع بنصف الكبد للأخ مع معرفة بعض المضاعفات للمتبرّع نفسه؟

الجواب:

لا يجوز إذا كان فيه ضرر بليغ على المتبرّع أو خطر على حياته، وإلّا فلا مانع.

السؤال:

يوجد منظمة للتبرّع بأعضاء البدن عن الميّت يعني أسجّل اسمي في المنظمة وأعلمهم عن الشيء الذي أتبرّع به؟

الجواب:

في نفوذ الوصية بقطع أعضاء المسلم بعد موته لإلحاقه ببدن الحي من غير أن تتوقف حياة الحي على ذلك إشكال.

السؤال:

متى يجب على الفرد التيمّم؟

الجواب:

في الموارد التالية يجب التيمّم بدلاً عن الوضوء أو الغُسل:

١. عدم وجود الماء، أو عدم إمكان الوصول إليه.

٢. حصول الضرر من استعمال الماء، كحصول المرض ـ مثلاً ـ واشتداده، أو زيادته، أو تأخّر الشفاء والبُرء منه.

٣. الخوف فيما لو استعمل الماء في الوضوء أو الغُسل على نفسه، أو على غيره ممّن يرتبط به ويكون من شأنه التحفّظ عليه والاهتمام بشأنه ولو من غير النفوس المحترمة، إنساناً كان أو حيواناً.

٤. استلزام الحرج والمشقّة إلى حدٍّ يصعب تحمّله عليه، سواء أكان في تحصيل الماء (كما إذا توقّف على الاستيهاب الموجب لذلّه وهوانه، أو على شرائه بثمن يضرّ بحاله وإلّا وجب الشراء وإن كان بأضعاف قيمته) أم في نفس استعماله لشدّة برودته أو لتغيّره بما يتنفّر طبعه منه، أم فيما يلازم استعماله كما لو كان قليلاً لا يكفي للجمع بين استعماله في الوضوء وبين تبليل الرأس به مع فرض حاجته إليه لشدّة حرارة الجو مثلاً، بحيث يقع لولاه في الحرج والمشقّة.

٥. ما إذا استلزم تحصيل الماء أو استعماله وقوع الصلاة أو بعضها خارج الوقت.

٦. أن يكون مكلّفاً بواجب أهمّ أو مساوٍ يستدعي صرف الماء الموجود فيه، كإزالة الخبث عن المسجد فإنّه يجب عليه التيمّم وصرف الماء في تطهيره، وكذا إذا كان بدنه أو لباسه متنجّساً ولم يكف الماء الموجود عنده للطهارة الحدثيّة والخبثيّة معاً فإنّه يتعيّن صرفه في إزالة الخبث، وإن كان الأولى فيه أن يصرف الماء في إزالة الخبث أوّلا ثمّ يتيمّم بعد ذلك.

تمور
الكفيل
ALKAFEEL

جودة تستحق ثقتك

شركة الكفيل للصناعات الغذائية – 0772 721 02 62 0773 004 00 28

النجف الأشرف